تجليات الفكر الظاهرى فى آراء الآمدى النقدية

(فى كتابه الموازنة بين الطائيين)

د / يسرا صلاح الدين عبد الله العدوى

مدرس النقد الأدبى بقسم اللغة العربية

بكلية التربية – جامعة دمنهور

تجليات الفكر الظاهرى فى آراء الآمدى النقدية (فى كتابه الموازنة بين الطائيين)

يسرا صلاح الدين عبد الله العدوى
مدرس النقد الأدبى بقسم اللغة العربية بكلية التربية – جامعة دمنهور
البريد الإلكتروني : Y82adawi@edu.dmu.edu.eg

الملخص :

يعد الآمدى من أشهر النقاد العرب على الإطلاق ، ونقاد القرن الرابع الهجري خاصة، وذلك بما أرساه من آراء نقدية مثلت باكورة التأليف المنهجي عند العرب ، مما استدعى ضرورة النظر العميق فى طبيعة تلك الآراء النقدية ، وما انطلت عليه من خلفية فكرية مرجعية شكلت تلك الآراء، وبلورتها ؛فمثلت منحى الناقد ، ومذهبه الفنى وذوقه النقدى ، ونعنى فى هذا البحث بالوقوف على طبيعة تلك الآراء النقدية التى شكلت مواقف الناقد المعروفة فى القضايا المختلفة خاصة (كتاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى)؛ فالوقوف على طبيعة تلك الآراء ، والعوامل التى شكلتها ، ورسختها لدى الناقد عكست صورة التفاعل الدلالى بين الناقد ، والنص فى معرض موازنته؛ فتكشفت لنا مرجعية (الآمدى) السنية ، وبخاصة (مذهب أهل الظاهر) باعتباره مذهبا فكريا عقائديا انبثق عن مذهب أهل السنة ، وإذا كان مذهب أهل السنة مذهبا دينيا يختلف عن غيره من المذاهب غير السنية كالشيعة ، والخوارج ، وغيرهما ؛فيمكن النظر داخل إطار أهل السنة ذاتهم بوصفهم أطيافا مختلفة فكريا ؛ فنجد منهم السنة الخلص، والمعتزلة ، والأشاعرة ، وكذلك الظاهرية ، وقد حاولنا تلمس ذلك الأثر فيما قاله عن منحي أبى تمام والبحترى الشعرى ، كذلك أثره فى إخضاع النص الشعرى لمعيارية تفسير النص الشرعى فى النظرإلى أخطاء الشعراء فى اللفظ والمعنى ، وأخيرا ننتهى إلى امتداد ذلك الأثر العقدى على رؤية الآمدى للصورة الشعرية.

الكلمات المفتاحية: الفكر الظاهرى – الآمدى – الآراء النقدية

Manifestations of outward thought in the critical opinions of Al-Amdi (in his book The Balance between Al-Tayyis)

Yousra Salah El-Din Abdullah Al-Adawi

Department of Literary Criticism, Department of Arabic Language, Faculty of Education - Damanhour University

Email: Y82adawi@edu.dmu.edu.eg

Abstract :

Amidi is one of the most famous Arab critics ever, particularly those of the fourth century. The reason for this is his critical thoughts on which the first Arab methodology of authorship was based and his intellectual ideology which formulated and crystallized these thoughts. Accordingly, his literary school and critical style were reflected in his writings. This paper is aimed at investigating the essence of these critical thoughts which lead to his well-known arguments concerning different issues, particularly those mentioned in his book al- Muwazanah bayna abi Tammam wa al-Buhturi (A comparison between Abi Tammam and al-Buhturi). Investigating these thoughts and the factors which formulated and crystallized them reflects the semantic relationship between the critic and the text when he drew a comparison between the two poets. Accordingly, his Sunni school of thought was revealed, particularly Zahiri school of thought which is regarded an ideological intellectual doctrine. Zahiri school of thought derives from the Sunni school of thought which is different from other schools such as Shiite and Kharijite and the like. Similarly, Sunnis themselves are divided into pure Sunnis, Mu'tazilites, Ashʿarites and Zahris. The researcher attempted to discern the impact of Amidi's views on the methods used by Abi Tammam and al-Buhturi, and his impact on poetic texts that are consequently interpreted according to certain criteria used for interpreting Islamic texts, for example the investigation of mistakes made by poets on the lexical and semantic levels. Finally, the researcher concluded that Amidi's ideological viewpoints influence his poetic imagery.

Keywords: Al zahiriu's thought –Amidi -Critical thought

المقدمة:

لقد عنيت دراسات علمية فى درس الأدب بالآثار العقدية ، والمذاهب الفكرية لدى الأدباء وأثرها فى إبداعاتهم الشعرية ، من هنا أضحى مفهوم الفرق الإسلامية واضحا خاصة لدى شعرائهم الذين كشف شعرهم عن وضوح البصمة العقدية فى توجيه موضوعاتهم الشعرية ، وكذلك مسالكهم الفنية فى التعبير عن هذه القضايا [1]، هذا على مستوى أثر المذهب الفكرى فى الإبداع غير أننا فى هذه الدراسة نحاول تتبعها ، ولكن هذه المرة عند النقاد لا المبدعين متخذة من الآمدى نموذجا تتجلى فى آرائه النقدية تلك المعتقدات الفكرية .

ويعد الآمدى من أهم النقاد العرب على الإطلاق ، ونقاد القرن الرابع الهجري خاصة؛ وذلك بما أرساه من آراء نقدية مثلت باكورة التأليف النقدى المنهجى عند العرب ؛ مما استدعى ضرورة النظر العميق فى طبيعة تلك الآراء النقدية ، وما انطلت عليه من خلفية فكرية مرجعية شكلت تلك الآراء، وبلورتها ؛ فمثلت منحى الناقد، ومذهبه الفنى، وذوقه النقدى . ونعنى فى هذا البحث بالوقوف على طبيعة تلك الآراء النقدية التى شكلت مواقف الناقد المعروفة فى القضايا المختلفة خاصة كتاب (الموازنة بين أبى تمام والبحترى) فالوقوف على طبيعة تلك الآراء، والعوامل التى شكلتها ، ورسختها لدى الناقد ، عكس صورة التفاعل الدلالى بين الناقد، والنص فى معرض موازنته ؛فتكشفت لنا مرجعية (الآمدى) السنية ،وبخاصة (مذهب أهل الظاهر)

(١) راجع محمد السماوى ، الطليعة من شعراء الشيعة ، تحقيق كامل سلمان الجبورى ، دار المؤرخ العربى ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤٢٢ه- ٢٠٠١م.

- راجع د إحسان عباس ، شعر الخوارج ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .

راجع المرزبانى (أبو عبيدة محمد بن عمران) ت٤٨٤ه، أخبار شعراء الشيعة ، تلخيص السيد محسن الأمين العاملى (ت ١٣٧١ه)،تحقيق ،محمد هادي الامينى ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف،ط١، ١٣٨٨ه- ١٩٦٨م.

باعتباره مذهبا فكريًّا عقائديًّا انبثق عن مذهب أهل السنة ، وإذا كان مذهب أهل السنة مذهبًا دينيًّا يختلف عن غيره من المذاهب غير السنية كالشيعة ، والخوارج ، وغيرهما ؛ فيمكن النظر داخل إطار أهل السنة ذاتهم بوصفهم أطيافًا مختلفة فكريًّا ؛ فنجد منهم السُنة الخلص ، والمعتزلة ، وكذلك الظاهرية .

وقد ترك بعض أعلام هذه المذاهب الفكرية العقائدية بصمات واضحة عند من استقل منهم بنظرية الأدب على العموم ، ومن آثر طريق النقد على الخصوص .

وهذا ما سنحاول تلمسه فى مواقف الآمدى ، وآرائه النقدية التى انطلت –فيما أظن– على ظاهرية فكرية عقائدية انسربت داخل تلك الآراء ، وشكلت فكرًا نقديًّا عكس مرجعية صاحبه العقائدية ويعنينا فى هذا المضمار الوقوف على مدى انعكاس الفكر الظاهري بمبادئه ، وأصوله كمذهب فكرى عقائدى على آراء الناقد،وقد آثرت استخدام المنهج التحليلى للوقوف على آراء الناقد وتحليلها ، وقد قسمت البحث إلى مبحثين رئيسين، يسبقها مقدمة وتمهيد ، وقد جاء المبحث الأول بعنوان الفكر الظاهرى (أصوله ومبادئه)، ثم تحدثت فى المبحث الثانى عن ظاهرية التلقى عند الآمدى ، وجاء هذا المبحث فى ثلاثة محاور الأول بعنوان أثر الفكر الظاهرى فى آراء الآمدى حول المنحى الشعرى لأبى تمام والبحترى، والثانى يتحدث حول إخضاع النص الشعرى لمعيارية تفسير النص الشرعى (الظاهرية) فى النظر إلى أخطاء الشعراء فى اللفظ والمعنى ،وجاء المحور الثالث بعنوان إخضاع الصورة الشعرية لمعايير الظاهرية، ثم اختتم البحث بالخاتمة وأهم النتائج ، وقائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

تتحدد شخصية كل ناقد بمقدار ما تخط آراؤه من تفرد يشكل منحـــاه النقدي ، يميزه عن غيره من النقاد ، ولكن هنا نتساءل : هل الناقد يســـتمد معياره النقدى من النص فقط؟ أى هل الناقد يعتمد في آرائه النقديـــة علـــي استنطاق النص فقط ، وهل هناك عوامل أخرى مؤثرة في عمليـــة التلقـــى تتشكل من خلالها آراؤه ومواقفه النقدية؟

وللإجابة على هذه التساؤلات يجب علينا أن نشير إلى أنه لايمكن أن ينفصل الناقد عن النص ، واعتباره الأساس في عملية التلقى ، ولكن لا يمكن أيضا أن يمارس الناقد هذه العملية دون التمرس بأصول علمية ، وذوقيـــة ، وموضوعية مكتسبة بالدربة ، والمران ، والممارســـة ، والثقافـــة الأدبيـــة الواسعة ، ودراسة الأدب ،وفنونه ، غير أننا يجب أن نشير إلى أن هنـــاك عوامل أخرى تسهم فى تشكيل ذائقة الناقد ، وتبنى عليها مرجعيته النقديـــة ؛فتفرز ذلك التلاحم بين العوامل مجتمعة ،وقد يشير البعض إلى أن هذا مـــا يسمى الذوق الأدبى ، وقد أرجعه الكثير من النقاد إلى عوامل متعددة ، منها : " البيئة ويراد بها الخواص الطبيعية ، والاجتماعية التى تتوافر فى مكان ما ؛ فتؤثر فيما تحيط به آثارا حسية ممتازة .....، والزمان ويراد به العوامل المستحدثة التى تتوافر لشعب ما فى فترة من الفترات ، ومن المقرر أن تقدم الزمان ،وانتقال الإنسان من عصر إلى آخر فى درجات الرقى من شأنه أن يغير فى مقومات حياته فتزداد معارفه ، وتعمق معانيه ، وترقـــى فنونـــه ، وتلين حياته،.....والجنس ، وهو فى أصله ثمرة المكان والزمـــان ؛ لأن معنى الجنس أو الأصل الواحد جماعة سكنوا مكانًا واحدًا ،وخضـــعوا فـــي حياتهم لعوامله عهودا طويلة ؛ فنشأت فيهم طائفة من العادات ، والأخلاق، وطرق الفهم ، والإدراك مما كونته البيئة فى مـــواهبهم واســـتعدادهم .....، والتربية وهى تتناول آثار الأسرة والتعليم ، والتنشئة الخاصة ، فقـــد تجـــد جماعة من جنس واحد ، وبيئة واحدة وزمان واحد ، وهم مع ذلك متبـــاينو

الأذواق بسبب ما اختلفوا فى الثقافة والدراسة والتهذيب .....، والشخصية الفردية أو المزاج الخاص ، وهذا العامل أخص المؤثرات فى الذوق وألصقها بالناقد وكثيرًا ما ينتهى الرأى فى باب النقد الأدبى ....." (١)

ويستوقفنا هنا وجود عوامل أخرى قد تسهم أحيانا بشكل مباشر ، وأحيانا بشكل غير مباشر فى تشكيل ذوق الناقد، ومن ثم مواقفه النقدية ، ومن أهم تلك العوامل هى المرجعية الفكرية العقائدية ، وما اعتنقه الناقد الذى آثر ممارسة النقد، وآدابه من مذهب فكرى عقائدى(وبالجملة أيديولوجيته) نتحسس أثره داخل النقد ، وهناك من يعتبر أن المذهب الفكرى العقائدى للناقد جزء ركين من بيئته ، وكذلك ثقافته ، وبالفعل لايمكن إنكار ذلك ، والتأكيد عليه ، ولكننا نحاول لفت الأنظار إلى أهمية ذلك العامل الذى يشكل رؤية الناقد ، ومستويات تلقيه للنص ، وطرائق تعامله معه ، وليس ذلك بمستغرب ، فقد وقف النقاد والباحثون على سنية (ابن قتيبة) وهو إمام أهل السنة ، والفقيه الناقد ، وقد لفتت آراؤه التى عكست بداخلهاخلفيته السنية اهتمام الباحثين والنقاد ، حتي أنهم أثبتوا أثر سنيته فى نقده ،ونلمس ذلك فى قول أحدهم " وأثرت ثقافة ابن قتيبة المتنوعة ، وبيئته في بغداد ،

---

(١) أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبى ، مكتبة نهضة المصرية ، ط٣ مزيدة ومنقحة ، ١٣٦٥ ه – ١٩٤٦م ، **ص١٢٦-١٣٥.**

وقد تحدثت العديد من المصادر القديمة والحديثة حول قضية الذوق الفنى وعوامل تشكله:

-راجع ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون ،تحقيق علي عبد الواحد وافى ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة،ط٧ ، مارس٢٠١٤م ، ج٣، ١١٤٩.

-راجع محمد بن سلام الجمحى(١٣٩-٢٣١ه) ، طبقات فحول الشعراء قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر ،مطبعة دار المدنى بجدة،د.ت،ج١،ص٥.

-راجع الجاحظ(عمرو بن بحر بن محبوب الكناني....) ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، الناشر مصطفي بابى الحلبى ،ط٢، ١٣٨٤ه-١٩٦٥م، ج١ ، ص٥٩.

- راجع د.جهاد المجالى ، موقف النقاد العرب القدامى من قضية الذوق الفنى ، مؤتة للبحوث والدراسات، العدد الثانى ،المجلد الثامن ،١٩٩٣م،ص١٧٣-١٧٨.

راجع ليلى عبد الرحمن الحاج قاسم، الذوق الأدبى فى النقد القديم، رسالم ماجستير ، جامعة أم القري قسم الدراسات العليا العربية، ١٤٠٣-١٤٠٤.

واشتغاله بالقضاء ، وتعمق أصول الفقه فى تأليفه ، وظهرت روح القضاء الذى تولاه حينا فى كتبه ، فكان من شواهدها اعتداله فى مذهبه النحوى بين أهل البصرة والكوفة ، واعتداله كذلك فى مذهبه الدينى بين المعتزلة والمتكلمين ، وأهل السنة ، وإن بدا متعصبًا لمذهب السنة أحيانًا ، وكذلك كان ابن قتيبة معتدلا فى اتجاهه الأدبى ، فحاول التوسط بين الاتجاهين المتعارضين فى عصره ، واللذين أشرنا إليهما: مذهب القدماء ، ومذهب المحدثين ، وظهر اتجاهه هذا فى كتابه بوضوح "[١]

وكذلك لا ننسى أثر الفكر الاعتزالى فى تشكيل آراء الجاحظ النقدية " لاشك أن المنطلقات الأولى لأى موقف من مواقف الجاحظ النقدية أو غير النقدية ، ترجع فى أصلها إلى عقيدته الاعتزالية الثانية ، وإن بدت متفرقة مشتتة،....."[٢] وقل مثل ذلك على الخطابى ، والزمخشرى.

ومما سبق يتأكد أثر الفكر العقائدى فى تشكيل آراء النقاد داخل مؤلفاتهم المختلفة ، وليس بمستغرب الحديث حول واحد من أشهر النقاد العرب ، وهو (الآمدى) ، الذى نحاول تلمس أثر الفكر العقائدى ، وأثر

---

(١) د.محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبى والبلاغة حتى القرن الرابع الهجرى ، منشأة المعارف ،الإسكندرية ، د.ت،ص١٣٢-١٣٤.

(٢) وديعة طه نجم ، الجاحظ والنقد الأدبى ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، مجلس النشر العلمى ، الحولية ١٠،الرسالة ٥٩، ١٩٨٩م،ص٢٩.

-راجع عبد اللطيف حمزة ، الجاحظ المعتزلى ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ،مج١٩،ج٢،١٩٥٧،ص١٢٥-١٣٣.

-راجع شفيق جبرى ، فن الجاحظ ، مجلة المجمع العلمى العربى ، مج١٢،ج١/١٢، ١٩٣٢م، ص٢٩٩-٣٠٨.

-راجع شفيق جبرى ، ثقافة الجاحظ ، مجلة المجمع العلمى العربى ، مج١٢،١/١١، ١٩٣١، ص ٢٦١-٢٨٤.

-راجع عبد العزيز الدقر ، اعتزال الجاحظ ، مجلة المجمع العلمى العربى، ج٤،مج ٢٨، ١٩٥٣م، ص٥٧٥-٥٩١.

راجع د.إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبى عند العرب (نقد الشعر من القرن الثانى حتى القرن الثامن الهجرى)،دار الثقافة ، بيروت ،ط ٤ ،١٤١٢ه -١٩٩٢م، والحديث حول اعتزال الجاحظ ص٦٦.

الدين عامة فى تشكيل رؤيته النقدية ، وانعكاس ذلك داخل أرائه ومواقفه ، حيث تلمسنا جذور (الفكر الظاهرى) ؛ ذلك الفكر الديني الذى انبثق من رحم الفكر السنى ؛فأصّل له أصحابه بمبادئ محددة ، وأصول وقواعد مميزة اعتمدت فى خلفيتها على المذهب الرئيس ، غير أنها مثلت بأصولها ،ومبادئها فكرا خاصا شكل ذوقية أصحابه ، ومرجعيتهم خاصة من سلكوا دروب الأدب ، وفنونه ، والنقد مثل(الآمدى)، والذى مثلت آراؤه النقدية (الفكر الظاهرى) فى موازنته بين شاعرين من أعاظم شعراء العربية ، وهذا ما سنحاول تلمسه ، ولكن قبل ذلك نلقى الضوء علي (المذهب الظاهرى) أهم أعلامه ، ومبادئه وأصوله ، ثم نحاول بعد ذلك تلمس ذلك الأثر فيما قاله عن منحى أبى تمام والبحترى الشعرى ، كذلك أثره فى إخضاع النص الشعرى لمعيارية تفسير النص الشرعى فى النظر لأخطاء الشعراء فى اللفظ والمعنى ، وأخيرا ننتهى إلى امتداد ذلك الأثر العقدى على رؤية الآمدى للصورة الشعرية لدى الشاعرين .

المبحث الأول:

الفكر الظاهرى (أصوله ومبادئه):

ظل المذهب السنى هو المذهب الذى امتد منذ عصر رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وأصحابه حتى القرن الثالث الهجرى ،ذلك العصر الذى شهد حراكا فقهيا بلغ ذروته بانبثاق العديد من المذاهب الفقهية ، والفكرية من رحم المذهب السنى ، وقد ظهر فى ذلك العصر المحدثون والمجتهدون ، وظهرت المذاهب الأربعة ، وغيرها لذا يعد القرن الثالث الهجرى من أزهى العصور الفكرية ، والفقهية بمفكريه ، وعلمائه، وفقهائه ، ومحدثيه، ومن بين هذه المذاهب الفقهية (المذهب الظاهرى) ، يقول الشهرستانى" أن المجتهدين من أئمة الأمة محصورون فى صنفين لا يعدوان إلى ثالث ؛ أصحاب الحديث ، وأصحاب الرأى ،..... أصحاب الحديث وهم أهل الحجاز ، هم أصحاب مالك بن أنس وأصحاب محمد بن إدريس الشافعى ، وأصحاب سفيان الثورى ، وأصحاب أحمد بن حنبل ، وأصحاب داوود بن علي بن محمد الأصفهانى وإنما سموا أصحاب الحديث لأن عنايتهم بتحصيل الأحاديث ، ونقل الأخبار ، وبناء الأحكام على النصوص لا يرجعون إلى القياس الجلىّ والخفىّ ما وجدوا خبرا أو أثرا "(١)

والظاهرية هم اتباع أبى سليمان داوود على الأصفهانى، إمام أهل الظاهر وفقيههم ، وكان أول من انتحل الظاهر ، وأخذ بظاهر الكتاب والسنة، وألغى ما سوى ذلك من الرأى ، والقياس ، واضطر إلى ذلك بعد ما صار التأويل أسلوبا متبعا أدى إلي الاضطراب فى العقيدة ، والفوضى في الفهم ، فكثر الاختلاف ، والتباغض ،وتفرق المسلمون حول فهم عقيدتهم إلي فرق مختلفة.

(١) الشهرستانى ، الملل والنحل ، أبى الفتح محمد عبد الكريم الشهرستانى ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، مؤسسة الحلبى ،ج٢، ١٣٨٧ه– ١٩٦٨م،والتعريف بأهل الظاهر ،ص١١.

والظاهرية يقولون " دين الله تعالي ظاهر لا باطن فيه ، وجهر لاسر تحته ، كله برهان ، لامسامحة فيه ، واتهموا كل من يدعوا أن يتبع بلا برهان ، وكل من ادعى أن للديانة سرا ، وباطنا ،وهى دعاوى ومخارق ، وقالوا : لم يكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الشريعة كلمة فما فوقها ، ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة ، أو عم أو ابن عم ، أو صاحب ، على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ، ورعاة الغنم ، ولا كان سرا ، ولارمزا، ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه ، ولوكتمهم شيئا لما بلغ كما أمر ، ومن قال هذا فهو كافر ، فإياكم وكل قول لم يبن سبيله ، ولا وضح دليله ، ولا تعوجوا عما مضى عليه نبيكم (صلى الله عليه وسلم) ، وأصحابه رضى الله عنهم " [١]وهو مذهب فقهى فكرى ولد من رحم المذهب السنى كغيره من المذاهب ، كالشافعية ، والمالكية ، والحنابلة ، والحنفية ، وغيرهم .

ويعتقد الظاهرية أن أصول منهجهم مستمدة مما كان عليه النبى (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ، ومن كتاب الله عز وجل ،والظاهرية نسبة إالي ظاهر اللفظ ، وهى عند أهل الأصول تعنى " مادل على المعنى دلالة راجحة ، بحيث يظهر منه المراد للسامع بنفس الصيغة ....." [٢]

(١) راجع د. عبد المنعم الحفنى ، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ، دار الرشاد للطباعة والنشر ، ط١ ،١٤١٣ه -١٩٩٣م، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٢) عبد الرؤوف بن المناوى ، التوقيف على مهارات التعاريف، تحقيق د.عبد الحميد صالح حمدان ، عالم الكتب ،ط١، ١٤١٠ه-١٩٩٠م،ص٢٣٠.

-راجع أ.د محمد مصطفي شلبى، المدخل في الفقه الإسلامى تعريفه،تاريخه،ومذاهبه، نظرية الملكية والعقد، الدار الجامعية ، ط ١٠ ،١٤٠٥ه-١٩٩٨٥م.ص٢٠٦.

راجع ، رمضان على السيد الشرنباص، المدخل لدراسة الفقه الإسلامى، تطوره – مدارسه – مصادره – وقواعد نظرياته،مطبعة الأستانة، ط٢،١٤٣٢ه،ص١٦٣.

وأطلق على هذا المذهب الظاهرى ؛لأنهم " يأخذون بظواهر النصوص الشرعية ، ويرفضون استنباط العلل"(١)

والظاهرية مدرسة تعنى بظاهر الدلالة ، وأهملت ماعداها من دلالات تأويلية ،أى أنهم لايعتدون سوى بظاهر اللفظ ، ومباشرة المعنى المستنبط من النص الشرعى .

وقد أسسه داوود بن على الأصبهانى (ت)(٢٧٠ه) ثم من بعده الإمام ابن حزم الظاهرى أبو محمد على بن أحمد (٤٥٦ه). (٢)

والمذهب الظاهرى يقف عند ظاهر النص ، وجاء كردة فعل على إيغال أهل الرأى فى القياس حيث " رأى أهل الظاهر ما جناه أهل الرأى على النصوص الشرعية بحيث قدم الرأى على النص فى كثير من الأحكام بسبب إهمال النصوص حفظا وفقها ودراسة ؛ فكان موقف داوود ردة فعل للذين تطرفوا بالأخذ بالرأى ، فجاء موقفه تطرفا فى الجانب الآخر ، فمنع

---

(١) محمد رواس قلعجى ، حامد صادق قنيبى،معجم لغة الفقهاء ، دار النفائس،ط١، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م، ص٢٩٥.

(٢) السيد محمد مرتضى الزبيدى، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق مصطفي حجازى ،مطبعة حكومة الكويت، ج١٣٩٣،١٢ه-١٩٧٣م،ص٤٩٩.

-راجع نصر فريد محمد واصل، المدخل الوسيط لدراسة الشريعة الإسلامية والفقه والتشريع، مطبعة النصر ، ١٩٨٠م، ص١٢٠-١٢٤.

-راجع الخطيب البغدادى (٣٩٢-٤٦٣ه)، تاريخ بغداد مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواردیها ، حققه وضبط نصه دبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامى ، مج٩ص٣٤٢- ٣٤٩.ترجمة أبو داوود الأصبهانى.

-راجع أبا إسحاق الشيرازى الشافعى (٣٩٣ ه-٤٧٦ه)، طبقات الفقهاء، حققه وقدم له د.إحسان عباس، دار الرائد العربى ، بيروت ،لبنان،د.ت، ص١٧٥.

-راجع ابن خلكان (٦٠٨-٦٨١)،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،تحقيق د،إحسان عباس ، دار صادر بيروت ،١٣٩٨ه-١٩٧٨م ،ج٣ ص ٣٢٥-٣٣٠، ج٤ ص٢٥٩- ٢٦١.

راجع ياقوت الحموى الرومى،معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق د.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامى ،بيروت ،لبنان، ط ١ ،١٩٩٣م،ج٤،ص،١٦٥٠-١٦٥٩. ترجمة ابن حزم الظاهرى

الأخذ بالقياس ، وقال بعدم تعليل النصوص ، وقصر منهجه على الأخذ بظاهر النصوص "(١)

ويرفض أهل الظاهر التأويل ،واستنباط العقل ، فالغرض الشرعى يقيّم بالمعنى الظاهرى ؛فالقول بالظاهر يعنى عدم صرف معنى النص فى القرآن والسنةعن معناه الواضح بذاته الذى يستنبطه العقل بحكم منطوق اللغة إلى غيره من التأويل مادام ليس هناك نص آخر أو إجماع يصرفه عن معناه الظاهرى ، "فالواجب أن لايحال نص عن ظاهره إلا بنص آخر صحيح مخبر أنه على غير ظاهره فتتبع فى ذلك بيان الله تعالى وبيان رسوله – صلى الله عليه وسلم–"(٢)

وإذا أجملنا الحديث حول مبادئ المذهب الظاهرى وأصوله نستطيع القول أن من أهمها :

١– الالتزام بالنص الثابت فى الكتاب والسنة فى حدود المعني الظاهرى دون تأويل أو مجاز إلا بنص واضح أو إجماع متيقن وهو ما أسموه (الأخذ بظاهر اللفظ) ويعنى ذلك" حمل الألفاظ على مفهومها من ظاهرها قول الله تعالى: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾الشعراء (١٩٥)، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾إبراهيم (٤) فصح أن البيان لنا : إنما هو حمل لفظ القرآن والسنة على ظاهرهما وموضوعهما – فمن أراد صرف شيء من ذلك إلى تأويل بلانص ولا إجماع فقد افترى علي الله تعالي وعلى رسول الله صلي الله عليه وسلم ،وخالف القرآن ، وحصّل فى الدعاوى ، وحرف الكلم عن مواضعه"(٣)

---

(١) أ.د عمر سليمان الأشقر ، المدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامى ، دار النفائس ،١٤٢٥ه–٢٠٠٥م،ص١٩٦.

(٢) ابن حزم الأندلسى (٤٥٦ه)،النبذ الكافية في أصول أحكام الدين، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية،بيروت، ط ١ ،١٤٠٥ه–١٩٥٨م، ص٣٦.

(٣) نفسه ، ص٣٧.

٢- رفض الحكم بالرأى :

فقد رفض الظاهرية القول بالرأى ، والحكم به فى تفسير النص الشرعى" لايحل لأحد الحكم بالرأى قال الله تعالى: ﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ الأنعام(٣٨) ، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾ النساء (٥٩) [١]

٣-رفض الحكم بالقياس :

واعتباره من الرأى ،والقول والأخذ به باطل لأنه يصرف المعنى عن ظاهره ،" ولا يحل الحكم بالقياس فى الدين والقول به باطل ، مقطوع على بطلانه عند الله تعالي وبرهان ذلك قول الله تعالى فى الآيات السابق ذكرها[٢].

٤-رفض التقليد :

ويقصد بالتقليد هنا التعميم والاتباع ، ويروا أن ذلك يتنافى مع القرآن والسنة ، " والتقليد حرام ، ولايحل لأحد أن يأخذ بقول أحد بلا برهان ...وبرهان ذلك قول الله تعالى: ﴿ "**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**"**الأعراف (٣) وقول الله تعالي: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**﴾ **البقرة (١٧٠)**، وقال تعالى مادحا لقوم لم يقلدوا ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِ *الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ الزمر من(١٧،١٨) ، **وقال تعالى:** ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾ النساء(٥٩)، فلم يبح الله

(١) ابن حزم لأندلسى ، النبذ الكافية فى أحكام الدين، ٥٨.
(٢) نفسه ،ص٦٢.

تعالى الرد إلى أحد عند التنازع دون القرآن وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام(١).

إذا الفقه الظاهرى يقوم على " الوقوف عند حدود الألفاظ التي وردت من الشارع دون عناية بعللها ومقاصدها ، ودون اهتمام بالقرائن والظروف التى أحاطت بالألفاظ حين ورودها "(٢)

وقد حاولنا الوقوف على نشأة المذهب الظاهرى ، وأهم أعلامه ، وكذلك أصوله وأهم مبادئه ، تلك المبادئ التى مثلت جذورا فقهية أصولية بنى عليها المذهب الظاهرى ،مؤسسة تلك المرجعية الفكرية الأصولية لأصحابه ، فشكلت ذائقتهم التفسيرية ، وانعكس ذلك على رؤيتهم للنص الشرعى ،وآلية التفاعل معه ،وتلقيه على ظاهر مدلوله ، رافضين فى ذلك سبل التأويل والرأى والقياس ، معتمدين فى ذلك علي اللغة التى شكلت جزءا ركينا من أدواتهم ،وقد نزل بها النص ، فهى السبيل إلى فهمه وتفسيره ؛فهي أداة التشريح المثلى للوقوف على مدلول النص الشرعى ، فجاء توقير اللغة من أهميتها في تفسير النص ، وكذلك الحفاظ عليه دون خلط أو تأويل أو تجنيس أو تهجين .

وقد امتدت تلك الجذور الأصولية فمثلت فكرا ظاهريا رصينا لدى أصحابها الذين تناولوا النص الشرعى (القرآن والسنة) بالتفسير والايضاح ، كذلك انعكست داخل أطر أخرى ؛ فشكلت مرجعية أصحابها من لغويين ،

(١) نفسه،ص٧٠.

راجع عادل عبد العزيز غيث عبد الخالق، الصراع المذهبى بين المالكية والظاهرية فى الأندلسى وموقف ملوك الطوائف حياله " ابن حزم الظاهرى نموذجا" ، جامعة بنغازى ، كلية التربية بالمرج ،مارس ع ٢،٢٠١٥م ص٦.

(٢) د. عبد المجيد محمود عبد الحميد ، الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث فى القرن الثالث الهجرى ، ١٣٩٩ه- ١٩٧٩م،ص٣٣٥.

و نحويين أمثال (أبى حيان الأندلسى) ،وغيره وكذلك من اعتنوا بـــالأدب وفنونه أمثال الآمدى ، وغيره

وقبل البدء فى معرفة أثر الفكر الظاهرى فى آراء الآمدى [١]ومواقفه النقدية فى مؤلفه (الموازنة بين أبى تمام والبحترى) يجدر بنا الإشارة إلى عدة أمور أسهمت بشكل جلى في تشكيل ذوق الناقـــد ، واتصـــلت اتصـــالا مباشرا وغير مباشر بتشكيل ذوقه النقدى ؛ ذلك الذوق المؤطر بمرجعيتـــه الفكرية العقائدية . ويجدر بنا الحديث حول تلك العوامل التـــى تشـــابكت ، وتكاملت ، وانصهرت داخل الإطار الفكرى العقائدى؛ لتفرز تلـــك الآراء ، والمواقف مجتمعة ، ومن تلك العوامل :

(أ)ذوقه اللغوى (ب) ذوقه المحافظ (المطبوع)

وقد عرف عن الآمدى أنه (عالم لغوى) أخذ علمه من علماء اللغة " كان أبو الحسن الآمدى من أهل البصرة ، أخذ النحو واللغة عن علـــى بـــن سليمان الأخفش الأصغر ،وأبى إسحاق الزجاج ، وأبى بكر بن دريد؛ ..."[٢]

فنشأ الآمدى نشأة لغوية حيث تشكلت ذائقته لغويا فى المقـــام الأول ، وقد وقف على أصول اللغة ،وجذورها ، وقواعدها فتشرب العلم فى أوله من أكابر علماء اللغة ، أسهم ذلك بشكل جلى في تكوين مواقفه النقدية ،فإذا كان الآمدى نشأ كعالم لغوى غير أنه اختلف عن غيره من اللغويين حيث أنـــه " كان معنيا كل العناية بالشعر ونقده ، وألف فى ذلك كتبا من أهمهـــا كتـــاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى "[٣]

(١) ترجمة الآمدى ، مقدمة كتاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى ،الإمام الحسن بن بشر بن يحيـــى الآمدى البصرى (ت٣٧٠)، تحقيق وتعليق، محمد محيى الدين عبد الحميـــد ، المكتبـــة العلميـــة ، بيروت ،ص٨، ٩.

(٢) طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبى عند العرب من العصر الجاهلى إلي القرن الرابع الهجـــرى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،١٩٣٧م، ص١٥٧.

(٣) نفسه، ص١٤٣.

وقد اهتم الآمدى بالأدب وأصحابه، ويتضح ذلك من عناوين مؤلفاته التى لم تصل إلى أيدينا منها سوى كتابه " المؤتلف والمختلف "فى أسماء الشعراء ، ومن مؤلفاته التى لم يصل إلينا شىء منها ،معانى شعر البحترى)، و(الرد على ابن عمار فيما أخطأ فيه أبو تمام) ، و(الفرق ما بين الخاص والمشترك من معانى الشعر) ، وكتاب (الموازنة) الذى بين أيدينا ... (١) .

وكذلك طول باعه فى النثر ، ومن مؤلفاته نجد أنه من نقاد القرن الرابع الذين امتلكوا ذوقا أدبيا ، ومعرفة بالشعر ، وأهله ، وأخباره ، وأحواله ،كذلك جمع آراء أهل العلم وشيوخ اللغة كما ذكرنا ، فقد" اتسع فى الآداب وبرز فيها ، وانتهت رواية الشعر القديم والأخبار فى آخر عمره بالبصرة إليه"(٢)

ومن الأدلة الدامغة على اهتمام الآمدى بالشعر خاصة ،وبالأدب عامة قوله بمهمة الناقد ، وتحديد شروطه فى كتاب الموازنة ، يقول :" فمن سبيل من عرف بكثرة النظر فى الشعر ، والارتياض فيه ، وطول الملابسة له أن يقضى له بالعلم بالشعر ، والمعرفة بأغراضه ، وأن يسلم له الحكم فيه ، ويقبل منه مايقول ، ويعمل على ما يمثله ،ولا ينازع فى شىء من ذلك ، إذ كان من الواجب أن يسلم لأهل (كل صناعة) صناعتهم ، ولا يخاصمهم فيها، ولا ينازعهم إلا مَنْ كان مثلهم نظرًا فى الخبرة وطول الدربة والملابسة (٣)"

(١) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى البصرى (ت٣٧٠)، الموازنة بين أبى تمام والبحترى ،راجع أسماء مؤلفات الآمدى ، مقدمة الكتاب ص٩.

(٢) جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، ط١، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م،ج١،ص٣٢٣.

(٣) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى البصرى، الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، ص٣٧٥.
-راجع جلال الدين عبد الرحمن السيوطى، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر عيسى البابى الحلبى ، ١٣٨٤ه-١٩٦٤م،ج١،ص٥٠٠.
راجع ابن النديم ، الفهرست ، دار المعرفة ،بيروت ، لبنان، ص٢٢١.

إذا يمكننا التأكيد على أن الآمدى عرف (كناقد لغوى) ، جمع بين علمه باللغة ، وتمرسه بالشعر ، وفنونه ،ويجدر بنا هنا أن نتساءل – هل مثل الآمدى فى نقده نهج النقاد اللغويين فى عصره أى فى القرن الرابع الهجري؟

وهنا يجب الإشارة إلى أن لغويّ القرن الرابع الهجري اختلفوا فى طبيعة نقدهم عمن سبقوهم من النقاد اللغويين فى القرن الثانى ، والثالث الهجريين ؛ فنجد النقاد اللغويين " نقدة القرن الرابع هم استمرار وامتداد للذين جروا فى النقد علي الأصول العربية فى القرن الثالث ، امتداد للغويين وللنقدة الأدباء مجتمعين ؛فليسوا كاللغويين عكوفا على القديم ، ونفورا من المحدث ، وليسوا كالأدباء يفهمون الشعر فهما لا يكشف سره ، ولايوضح علله ، ولا يبين مراميه ،وإنما هم صنف جمع بين الذوقين ، وأخذ من الطريقين ، تضلع فى القديم ، وألف الحديث ، واعتمد على الذوق فى فهم الأدب ، وأنس ما شاع فى عصره من أساليب الجدال فصاغ فيها كل ما اهتدى إليه من نظرات وأحكام "(١)

فالآمدى ناقد لغوى مثل نقاد القرن الرابع من اللغويين الذين جمعوا بين الذوق الأدبى واللغة ، والذين اختلفوا بطبيعة الحال عمن بحثوا فى اللغة فقط ، أو من سبقوهم فى أحكامهم اللغوية الخالصة ، فلم نعد نرى ناقدا كأبى عبيدة ، وابن الأعرابى ، وأشباههما ممن تعصبوا للغة ، فلم تتجاوز نظرتهم إياها أثناء حكمهم على الأدب .

(١) طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبى عند العرب من العصر الجاهلى حتى القرن الرابع الهجرى ،ص١٤٨.

راجع د.محمد مندور ، النقد المنهجى عند العرب،منهج البحث فى الأدب واللغة ، نهضة مصر ، ١٩٩٦م، ص١١٨.

فإذا مثل الآمدى ذوق النقاد اللغويين فى القرن الرابع غيرأننا لم نجد لأحد منهم عناية بالشعر ، وأصحابه مثله ، والدليل على ذلك مؤلفاته كما ذكرنا ، كذلك آراؤه فى النقد .

ونحن هنا بصدد الحديث عن نشأة الآمدى كعالم لغوى اختلف عن غيره من لغوى عصره في النظرإلى الشعر ،ونقده ، وكذلك آرائه ؛فأصقل ذوقه الأدبى ، ذوقه اللغوى ، وأسهم ذلك بشكل مباشر في مهمته النقدية ، والتى انسربت بداخلها المرجعية الفكرية العقائدية (الظاهرية)، والتى اعتمد أصحابها فى المقام الأول علي اللغة كأساس لفهم النص ، فانعكس ذلك داخل آرائه النقدية التي أرجعها النقاد إلى (لغويته) أو نقده اللغوى فى الأساس ؛ غير أن الجانب الآخر هو ظاهرية آرائه ، والتى انكشفت بمبادئها ، واعتمادها على ظاهر الدلالة اللفظية كما سنعرف بالشواهد الدالة ، مما يشكل العامل الثاني ، وهو انتماء ذوقه إلى الذوق المحافظ (المطبوع) أو الإشارة إلى ذلك فى العديد من المواضع داخل المؤلف،وذلك طبيعى باعتباره ناقدا لغويا ، وجاء ذلك متوافقا مع ميله فى بعض الأحيان إلى شعر البحترى ،وقد مثل ذلك ميله إلى الذوق المحافظ .

ونؤكد هنا أن ذوقه المحافظ ماهو إلا نتاج طبيعى لظاهريته ،والذي دعمه كونه لغويا فى الأساس، فالظاهرية اتخذت من ظاهر الدلالة اللغوية أساسا لفهم النص الشرعى ، وبالتبعية انتقل ذلك مع النقاد الذين اتخذوا الظاهرية مذهبهم والذين اعتمدوا فى الأساس على التفسير (اللغوى) – اللغة– فى فهم النص الشعرى، تلك اللغة التى امتدت جذورها ، وأصولها وارتبطت بلغة النص الشرعى المنزل وهى لغة القرآن الكريم ، وهى اللغة العربية القحة ، وكما سبق أن أشرنا أن رؤى النقاد اللغويين فى القرن الرابع الهجرى للنص اختلفت عن غيرهم نتيجة ظهور الشعر المحدث ، وكذلك المؤثرات البيئية ،والاجتماعيية ، وحركات التجديد ، وتأثرهم بالثقافات الأخري ، غير أن ذوقهم ظل محافظا مطبوعا .

وهناك من يتساءل :هل كل النقاد اللغويين فى القرن الرابع يمثلون الفكر الظاهرى كمرجع في آرائهم ومواقفهم باعتبارهم علماء لغة ، وكذلك يمثلون الذوق المحافظ؟ بالطبع لا

وما يهمنا في هذا المضمار هو (الآمدى) ، والذى يعد مؤلفه (الموازنة بين أبى تمام ، والبحترى) من أهم المؤلفات النقدية التي مهدت الطريق لمنهجية النقد فى القرن الرابع ،وذلك بآرائه ، ومواقفه ،وكذلك إننا لم نجد من النقاد اللغويين ناقدا مثل الآمدى اهتم بالأدب ، والنقد وتمرس به ، وألف به الكثير من المؤلفات ، وقد حدد هو ذاته شروطا لمتلقى الأدب لذا فمرجعية الناقد الفكرية والعقائدية كانت دافعا للبحث ورائها باعتبارها أساسا فى تكوين مواقفه النقدية ، التى اشتهر بها واعتبرت أسسا للنقد المنهجي بعد ذلك .

كما اختلف الآمدى عن غيره من النقاد اللغويين فى النهج الذي انتهجه ، والذي يحدث خلطا ولبسا لدى القارئ ؛ حيث أنه من النقاد الذين تميزوا بسعة الاطلاع والانفتاح على ثقافة عصره خاصة أهل القياس والجدال حيث " كان يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يصنعه من التآليف "[١]

وبالفعل تعاطى الآمدى مذهب الجاحظ ؛ غير أنه لم يتأثر به ، ولم يطبق منهج الكلاميين ، أو أهل الرأى ، والقياس ، وهو ما رفضه الظاهريون فى منهجهم ؛فالآمدى قد يكون درس علم الكلام " غير أنه لم يتأثر به فى النقد إلا تأثرا شكليا ، كما رأينا فى صياغته للمقدمة على شكل حوار كلامى جدلى بين صاحب أبى تمام ، والبحترى ، وكما نرى فى سائر كتابه من قوة عارضته فى الجدل "[٢].

(١) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى البصرى، الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، ص٩.
(٢) دإحسان عباس، تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، ص١٧٢.

وفى الحقيقة ليس ثمة تعارض بين تأثر الآمدى بالكلاميين ، والظاهرية ، وهو المذهب الذى رفض آراء أهل الرأى والقياس ، وربما حاول الآمدى فى جدله أن يقنع القارئ بأنه غير متعصب للقديم ، وأنه يقيم موازنته على الحجج والبراهين والموضوعية متأثرا فى ذلك بثقافة عصره التى ظهر فيها قوة أهل الرأى والقياس ووجودهم الضاغط ، كذلك نجد هذا التأثر فى الناحية الجدلية التنظيرية فقط ، بينما المطلع على آرائه التطبيقية داخل المؤلف محللا شواهده التى أقام عليها موازنته للطرفين يستطيع الوقوف على ظاهريته كما سيتضح ؛إذ ليس هناك تعارض فعلى بين تأثر الآمدى بمذهب الجاحظ ، وأهل الكلام ....وهذا على مستوى شكلى فقط ، وبين ظاهريته المنعكسة فى أرائه ومواقفه المبثوثة داخل قضايا موازنته ، والتى اتضح فيها ميله إلى المعني الظاهر واللفظ الصريح ، والدلالة المكشوفة ، والصورة القريبة ، والخيال المتوقع ، ورفض التأويل وحمل المعنى على غير دلالته الظاهره .

وإذا كنا نؤكد على قدرة الآمدى على توظيف ثقافته اللغوية كعالم لغوى وناقد لغوى داخل نقده ، غير أننا نؤكد أيضا اختلافه عن غيره من اللغويين كما سبق أن ذكرنا ؛فآراء الناقد فى موازنته وميله إلى شعر البحتري ليست دلالة علي قصوره فى فهم النص ،أو قلة دربة وممارسة للشعر وأصحابه ،أو تعصب للقديم مطلقا حيث أن هناك من يرى أن الآمدى(ينحاز بشكل واضح إلى البحترى ، وقلما يجد فى الأبيات التى يختارها لأبى تمام ، إلا ما يتيح له أن يدعم انحيازه ،وهكذا يتأكد أن الآمدى نموذج المتمسك بالقديم ، لكن المنفتح على قراءة المحدث ومناقشته من أجل أن يزداد اطمئنانا إلى موقفه[١]

(١) أدونيس ، الثابت والمتحول بحث فى الإبداع والاتباع عند العرب، تأصيل الأصول ،دار العودة ،بيروت ،لبنان،ط٢، ١٩٧٩م،ج٢،ص١٨٤.

و لم تكن رؤية الآمدي منصبة على القدم ، والحداثة فى موازنته بين أبى تمام والبحتري ، ولم يكن ذوقه المطبوع ،وحفاظه على مقاييس الشعر العربي وعموده قصورا منه فى فهم النص ،وفهم مذهب أبى تمام ، وقد علمنا واسع اطلاعه وثقافته ،وعلمه بمذاهب التجديد فى عصره ، وكذلك وقفنا على تأثره بالجاحظ حتى وإن كان تأثرا شكليا ، والدلائل على ذلك دفاعه عن أبى تمام فى بعض المواضع إذ نستبعد القول بتعصبه[1] ويمكننا القول إن ميله للذوق المطبوع ، ومذهب البحترى إنما هو انكشاف لعوامل أخرى يجدر الإشارة إليها ، ومنها ظاهريته ، تلك الظاهرية التى اعتمدت فى كنهها على الوضوح والانكشاف ، وعدم تتبع دقائق المعنى ، وعمقه ، وما يحمله من توليد أو إغراب أو وجوها أخرى للدلالة ، والالتزام بظاهر دلالة اللفظ دون أن يتعداها ، كذلك رفض التأويل ،والمجاز غير المستند على الحقيقة والذى يحمله أهل الرأى والقياس ؛ فلم يكن تمسك الآمدى بذوقه المطبوع تعصبا ، بينما من وجهة نظرنا هو انعاكس لظاهريته ودفاعه عنها بشكل مباشر أوغير مباشر فهي واحدة من عوامل عدة شكلت شخصية الناقد ومواقفه النقدية .

وهذا ما سنحاول تلمسه فى آراء الناقد ،بشكل أكثر تفصيلا لمحاولة الوقوف على ظاهريته فى تلقيه النص الشعرى باعتباره واحدا من أكابر النقاد العرب الذين ذاع صيتهم ، وتناقلت الألسنة آراءهم ، وتسارعت الأقلام فى تناول مواقفهم بالتمحيص والتدقيق ، ومحاولة الوقوف على هوية تلك المواقف وربطها بمرجعيته، وكذلك ذائقته النقدية التى شكلت أسس التلقى والتفاعل الدلالى فى تعامله مع النص الأدبى خاصة فى كتابه (الموازنة بين أبى تمام والبحترى)

(١) راجع د. وليد قصاب ، قضية عمود الشعر في النقد العربى القديم ،المكتبة الحديثة ، العين ، دمشق ،ط٢، ١٩٨٥م، ص٢٤٩.وتأكيده علي تعصب الآمدي للقديم وطرائقهم في الشعر.

المبحث الثاني:

ظاهرية التلقى عند الآمدى:

أ-أثر الفكر الظاهرى فى آراء الآمدى حول المنحى الشعرى لأبى تمام والبحترى .

ونحن هنا كما ذكرنا سابقا لسنا فى معرض تقييم موازنة الآمدى أو انحيازه لطرف دون الآخر ، أو تقييم آراء الناقد ،وتحليلها ، بينما نرنوا إلى محاولة تفسير هذه المواقف ،والآراء للوقوف على ماهية تكوينها ومرجعيتها ، وعلاقتها بمذهبية الناقد العقائدية ، كما سبق أن قدمنا .

ففى مقدمة حديث الناقد فى موازنته بين الشاعرين يقول الآمدى عن البحترى ،ومن فضّله من أنصاره محددا أسبابهم فى تفضيله مؤكدا عليها بقوله الذى نسبه إلى "حلاوة اللفظ ، وحسن التخلص ، ووضع الكلام فى مواضعه ، وصحة العبارة ، وقرب المآتى ، وانكشاف المعنى ، فهم الكُتّاب والأعراب والشعراء المطبوعين وأهل البلاغة ..... (١)

والمتأمل لحديث الآمدى هنا سيقف على جمعه وأصحاب هذه الفئة بين لغويتهم ومبادئ الظاهرية ، فتفضيل البحترى لحلاوة لفظه وحسن تخلصه ، ووضع الكلام فى مواضعه ، وصحة العبارة ، وكذلك نجد قرب المآتى ، ويعني قرب الدلالة ، والتى تحدث بالضرورة من انكشاف المعنى ، ذلك الانكشاف الذى يحدثه وضع اللفظ فى موضعه ، وظهور دلالته دون غموضها ، وذلك على نقيض أبى تمام والذى نسبه "إلى غموض المعانى ، ودقتها ، وكثرة ما يورد مما يحتاج إلى استنباط ، وشروح ، واستخراج ، وهؤلاء أهل المعانى ،والشعراء أصحاب الصنعة ،ومن يميل إلى التدقيق فلسفى الكلام "(٢)

(١) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى ، الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، ص١٠-١١.

(٢) الحسن بن بشر الآمدى ، الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، ص١٠.

وتبدو هنا المقارنة واضحة ، والتى جاءت في صالح البحترى بينما أبو تمام من أهل الغموض فى الشعر ؛فشعره يحتاج إلى استنباط ،وشرح ،وتحليل للوقوف على الدلالة التى من شروط صحتها وضوحها ،ومباشرتها مما جعل شعره مستساغ لمن يريد التدقيق ،وفلسفة الكلام ،وكذلك اعتبر من أهل الصنعة لبعده عن المباشرة ،واتجاهه إلى دفع المتلقى إلى إعمال العقل لجنوح الدلالة إلى الغموض ،والتعقيد ،وكذلك الاستنباط ، والتأويل فالبحترى " كان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشى الكلام ....." [١].وكان على مذهب الأوائل وشعره يشبه أشعارهم .

أما أبو تمام فإنه " شديد التكلف ، صاحب صنعة ، ومستكره الألفاظ والمعانى ، وشعره لايشبه أشعار الأوائل ولا على طريقتهم ؛ لما فيه من الاستعارات ، والمعانى المولدة ....." [٢]

ولنا أن نلاحظ صياغة مصطلح شعر الأوائل الذى يشير بطريق أو بآخر إلى أسلوب القدماء ، ولغتهم الذى أخذ خطا فى الوضوح قبل أن تظهر ما يمكن أن نسميها حداثة اللغة والصورة على يد أبى تمام ، ومن سار على دربه ، كما يمكن أن ننظر إلى ذاك المصطلح الذى تداوله علماء الدين حينما رفعوا شعار الاتباع وعدم خروج المحدثين عما وضعه الأولون.

ويبدو هنا أن الآمدى حاول تطبيق تلك الآراء على الشاعرين محاولا عدم التحيز لأحد منهما ، غير أننا منذ بداية النظر إلى تناول الناقد لأخطاء الشاعرين سنجد أنه طبق تلك الخصائص على كل منهما وخاصة أبى تمام ، وقد استفاض فى تطبيق معاييره الظاهرية على أخطاء أبى تمام ،فوجد منها أرضا خصبة ، اتضحت بداخلها ظاهرية الناقد ،واحتكامه إلى مبادئه الظاهرية فى إخضاع النص لكلام العرب وأشعارهم ، ومن قبله إخضاع

(١) نفسه ،ص١١.
(٢) نفسه ، ص١١.

النص الشعرى إلى معايير فهم وتفسير النص الشرعى ، ذلك التفسير الواضح الظاهر الذى لا يتعدى حدود اللفظ ودلالته المباشرة رافضا أى استنباط ،أو غموض ،أو تعقيد، وذلك على خلاف ما جاء به مذهب أبى تمام ، فتجلت آراؤه النقدية مستندة على خلفية فكرية عقائدية فى الرد على أخطاء أبى تمام سواء فى اللفظ ،أم فى المعنى ،أم فى الصورة ،أم فى الزخارف اللغوية والبديعية ؛ مؤكدا آراء خصومه فى مذهبه الشعري ،واعتماده على الغموض ،والتعقيد، والارتكان إلى ثقافات أخرى غير عربية ، رفضها الناقد متمسكا فى مذهبه بالأوائل والمتفقد لآراء الناقد فى تحليل أخطاء أبى تمام سيقع على ظاهريته ، ورفضه أى أثر غير عربى في الشعر ، الذى اتخذ أساسا لفهم النص الشرعى ويخضع النص الشعرى لظوابط أحكام تفسير النص الشرعى ، ولا يجب الخروج عليها ، فاللفظ المكشوف ،وقرب المأتى، ووضوح الصورة ،واعتمادها على الحقيقة أساسا فى الحكم على جودة الشاعر ، والتى ترتكز فى الأساس على الانكشاف والدلالة الظاهرة دون استنباط أو بحث عما وراء المعنى من دلالات ، وهذا ما يدعو إليه أهل الظاهر كما ذكرنا .

فالناقد يؤثر " المعنى الواضح السهل البعيد عن التعقيد والغموض ،والمعنى الظاهر القريب الذى لايحتاج إلى التأويل ؛ لذلك اعترض على قول أبى تمام فى قوله:

أَمَرَ التَّجَلُّدَ بِالتَّلَدُّدِ حُــرقَةٌ أَمَرَتْ جُمُودَ دُمُوعِهِ بِسُجُوم

وقوله:

مَا لاَمْرِئٍ خَاضَ فى بَحْرِ الهَوَى عُمُرٌ إلاّ وللبَيْنِ فيهِ السهلُ وَالجَلَدُ[١]"

(١) سميرة بوجرة، الشواهد الشعرية في كتاب الموازنة، مقاربة نقدية، رسالة ماجستير، جامعة مولود معموى ، تبزى وزو، كلية الآداب واللغات ، الجزائر، نوفمبر ٢٠١١،ص١٦٩، ١٧٠.
راجع الموازنة ،ص١٩٨-٢٠٠.

وإذا حاولنا الوقوف على أثر الفكر الظاهرى فى آراء الآمدى فى اللفظ المعني ، فلا يمكن أن نغفل الوقوف على أثر الفكر الظاهرى ،وانعكاسه داخل آراء الناقد حول الصورة الشعرية، والتى أشرنا إلى لغتها سابقا ،وأثر ظاهرية الناقد فى الحكم عليها ؛ غير أن الصورة الشعرية ترتكز في جانبها الجمالي والذوقى على الخيال، ذلك الخيال الذى يصنع الصورة ، فيحلق بها داخل عوالم المجاز ، ذلك العالم الذى يصنع جمالية التركيب الشعرى وبناءاته اللغوية ، وهو مايميز الشعر عن غيره من فنون أدبية .

ب – إخضاع النص الشعرى لمعيارية تفسير النص الشرعى (الظاهريـــة) فى النظر إلى أخطاء الشعراء فى اللفظ والمعنى .

ويمكننا الرجوع هنا إلى المبادئ ، والأصول الفكرية ، والعقائدية التى دعا إليها الفكر الظاهرى كما عرضنا سابقا ؛ حيث إن تفسير النص الشرعى يخضع دائما إلى ظاهر الدلالة ، والتى تعتمد فى بنائها على ظاهر اللفظ ، والوصول به إلى ظاهرية التلقى للمعني العام للبناءات الداخلية والخارجية للتركيب اللغوى ، والذى لا يسمح من خلاله بالخروج عما عرف عن العرب الخُلص ، من معجم لغوى مَثل فيه الشعر القديم أساسا للتفسير اللفظى ، وكذلك الدلالى ؛ فهو المعيار المثالى لفهم وتفسير اللغة ،ومدلولاتها ، وهى النموذج الأمثل لفهم وتفسير النص الشرعى (القرآن الكريم) ،و(الحديث النبوي الشريف) ؛لأن القرآن نزل بلسان عربى مبين ،فاحتاج تفسيره إلى الرجوع لجذور لغته التى نزل بها باعتبار الآمدى ناقدا لغويا ، علم دروب اللغة ،ومساراتها ووقف على قواعدها ، وأصولها ،وجذورها ، كذلك تتلمذ على يد علمائها بالإضافة إلى عنايته بالأدب ،والشعر، وسعة اطلاعه فيه ،حاول الآمدى أن يخضع النص الشعري إلى معيارية تفسير النص الشرعي (القرآن) مثلما عمل الظاهرية على إخضاع النص الشرعي لظاهر الدلالة اللغوية بالوقوف على ظاهر اللفظ ، وظاهر المعنى ، والمتتبع لمواقفه تجاه أبى تمام والبحترى سيلحظ فى الكثير من المواضع عند تعرضه لشعر

الشاعرين ،–وخاصة أبى تمام – إخضاعه النص إلى التفسير الظاهرى للشواهد القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وكذلك القواعد اللغوية المستخدمة لفهم النص الشرعي ، والاستشهاد بها فى تحليل النص الشعرى ، والوقوف عليه ، وكذلك إخضاع الآمدى النص الشعرى إلى ما عرف من كلام العرب ، وما أجمع عليه الأئمة والمفسرون والفقهاء : يقول الآمدى من أخطاء أبى تمام "فى قوله:

طَلَلَ الجمِيعِ لَقَـــدْ عَفَوْتَ حَمِيدَا وَكَفَى عَلَى رُزْئِـــى بِذَاكَ شَهِيدَا

أراد وكفى بأن مضى حميدا شاهدا على أنى رُزِئت ، فكان وجه الكلام أن يقول : فكفى برزئى شاهدا على أن مضى حميدا ؛ لأن حمد أمر الطّلل قد مضى ، وليس بمشاهد ولا معلوم ورزؤه بما ظاهر من تفجعه مشاهد معلوم ، فلأن يكون الحاضر شاهدا على الغائب أولى من أن يكون الغائب شاهدا على الحاضر . فإن قيل : إنما أراد يستشهد على عظيم رُزئه عند من لم يعلمه.

قيل : فمن لايعلم قدر مرزأته التى بعضها ظاهر عليه كيف يعلم ما مضى من حميد أمر الطلل ؛ حتى يكون ذلك شاهدا على هذا ؟ فإن قيل : هذا إنما جاء به على القلب .

قيل له : المتأخر لايرخص له فى القلب ؛ لأن القلب إنما جاء فى كلام العرب على السهو ، والمتأخر إنما يحتذي على أمثلتهم ،ويقتدي بهم ، وليس ينبغي له أن يتبعهم فيما سهوا فيه "

والمتأمل هنا لتحليل الآمدى سيقف على فكره ، وقد أكد على خطأ أبى تمام ،وقد حمل ذلك على ظاهرية المعنى ، وكذلك ظاهرية التلقى ، مؤكدا على أن من لا يعلم قدر مصيبته التى بعضها ظاهر عليه ، فكيف يعلم ما مضى من حميد أمر الطلل ، حتى تكون شاهدا على هذا ؟

وقد نلحظ هنا اعتماد الناقد على تلقيه الظاهرى للدلالة ، والتى عرفت عند العرب فى مأثور كلامهم ،والتشديد على الأخـــذ فيمـــا عـــرف عـــنهم

بالإجماع ، وكذلك التصدي لمن يدعو أن هذا المثال جاء على سبيل القلب فى اللغة ، وكذلك القلب فى الدلالة مؤكدا أن القلب ماجاء عن العرب إلا سهوا ، ولا ينبغي أن يتبع العرب فيما سهوا فيه .

فأبدى الناقد تمسكا بمرجعيته الفكرية الظاهرية فى الأخذ بظاهر الدلالة ، ورفض أى محاولة لإطلاق العنان لغيره ممن دافعوا عن حرية الشاعر فى قلب المعنى ،أو تأويله ، وأخذه بعيدا عن ظاهره مستكملا ذلك التحليل النقدى برؤية لغوية ظاهرية ؛ حاول فيها الناقد إقناع متلقيه بأن رأيه نابع من ظاهريته التى تعتمد فى المقام الأول على تفسير القرآن الكريم،وظواهره .

يقول الآمدى :" فإن قيل: فقد جاء القلب فى القرآن ،ولا يجوز أن يكون ذلك على سبيل السهو والضرورة ، لان كلام الله عز وجل يتعالى عن ذلك ، وهو قوله : ﴿**مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ** ﴾ القصص(٧٦)، وإنما العصبة تنوء بالمفاتيح ، أي تنهض بثقلها ، وقال عز وجل: ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى**﴾ النجم(٨) ، وإنما هو تدلى فدنا وقال: ﴿**وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**﴾ العاديات (٨) أى إن حبه للخير لشديد، ولهذا أشباه كثيرة فى القرآن .

قيل : هذا ليس بقلب ، وإنما هو صحيح مستقيم ، وإنما أراد الله اسمه: ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة ، أى نميلها من ثقلها ، ذكر ذلك الفرّاء وغيره ، وقالوا : إنما المعني لتنىء العصبة ، وقوله: ﴿**وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**﴾ العاديات (٨) قيل : المعنى أنه لحب المال لشديد ، والشدة : البخل ، يقال (رجل شديد "متشدد" أى بخيل ، يريد أنه لحب المال لبخيل متشدد ، يريد أنه لحب المال : أى لأجل حبه للمال يبخل . وقالوا فى قوله عز وجل ﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى** ﴾ النجم(٨) : إنما كان تدليه عن دنوه واقترابه .كما قال أبو النجم :

*** قَبْلَ دُنُوّ الأفْقِ مِنْ جَوْزَائِهِ**

والجوزاء إذا دنت من الأفق فقد دنا الأفق منها ، وليس هذا من القلب المستكره.....؟ (١).

..... وكقول الفرزدق

وَأَطْلَسَ عَسَّالٍ وَمَاكانَ صَاحِبًا رَفَعْتُ لِنَارِي مَوْهِنًا فَأَتَانِى

وإنما النار رفعها للذئب ، وأنشده المبرد وقال : القلب جائز للاختصار ، إذ لم يدخل لبس ، كأنه يجيز ذلك للمتقدمين دون المتأخرين ، وما علمت أحدا قال (للاختصار) غيره ، فلو قال لإصلاح الوزن أو للضرورة كما قال غيره ذلك أشبه ، ويجوز أن يكون الفرزدق فى هذا البيت سها أو اضطر لإصلاح الوزن ، وأبو تمام وغيره من المتأخرين لايسوغون مثل هذا (وإنما أراد أبو تمام ، وكفى بما يظهر من تفجعى بهذا الرزء الذى رُزِئتُه شاهدا على أن الطلل مضى حميدا ، فلست وليس له أن يقلب فى مثل هذا ؛ لأنه القلب المستكره .

فإن قيل إنه لم يرد القلب ، وإنما أراد وكفى على رزئى بمحمود أمر الطلل شهيدا : قيل : فبأىّ شىء استشهد ؟وأين شهيده؟.(٢).

ويتضح من ذلك اعتماد الآمدى فى المقام الأول على إخضاع النص إلى ما عرف فى اللغة ، وما أكده التفسير القرآني،والأخذ بظاهر هذا التفسير الذى أجمع عليه المفسرون مؤكدا أن ظاهر الدلالة وما جاء بها من خطأ يؤخذ على الشاعر ، وأية محاولة للدفاع عن هذا الظاهر بالرجوع أو الاستشهاد ببعض الأشعار التى وقع فيها هذا الخطأ عن العرب سهوا ، فإنها محاولات بعيدة عن الصواب ، وكذلك يجب الرجوع إلى الإجماع فى تفسير النص القرآنى ، و عدم اتخاذ السهو قاعدة للقياس عليها متأثرا فى موقفه بخلفيته العقائدية الظاهرية التى دعت إلى رفض التأويل ، أو حمل

(١) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى ، الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، ص١٩٥.
(٢) نفسه، ص١٩٦.

المعنى على وجوه متعددة ،والأخذ بظاهر اللفظ وظاهر الدلالة بما جاء عليه مأثور العرب ، وإجماع المفسرين ، فمنهم من عد (القلب) فى المثال السابق على سبيل الاختصار ، وهو من علماء اللغة ويقصد (المبرد) ، بينما وقف الآمدى مؤكدا أنه لايعتد سوى بإجماع المفسرين ، ولا يعترف برأى واحد منهم لأنه يوافق المشهور، ويخرج عليه فى حين قبل الآمدى رأى الفراء وغيره فى القول بظاهر الآيات القرآنية السابقة ، وأنها ليست على سبيل القلب، واستبعادها من باب القلب فى اللغة ، وقد حاول الآمدى هنا الوقوف على ظاهر الدلالة مستعينا بمعيارية اللغة فى ظاهرها ، كما تحدث بها العرب فى أشعارهم ، كذلك سهوهم ، ومن قبلها الاحتكام بالنص الشرعى وفقا لخلفيته الظاهرية التى تدل على المعنى دلالة راجحة بحيث يظهر منها المراد للسامع بنفس الصيغة دون تأويل ،أو قلب ،أو تعدد فى وجوه الدلالة ، فخطأ الشاعر هنا خطأ فى ظاهر الدلالة ؛ فالبنية اللغوية للنص أبعدت الدلالة عن ظاهرها ؛فأدت إلى تعقيدها وإعمال العقل وإجهاده فى فهم دلالتها.

كما نشير أيضا إلى آراء الناقد فى المستكره من طباق أبى تمام ، وقد سن نفس السنة فى اتخاذ كلام العرب ،وكذلك ظاهر دلالة النص الشرعى من القرآن والسنة أساسا فى الحكم على جودة النص الشعرى ،وبنيته ؛ويبدو أن معيارية الحكم هنا ترجع إلى ظاهرية الناقد فى تفسير ما يتلقاه ، وما يصل له من النص وظواهره الجمالية بشكل مباشر دون تنازل أو مواربة عن ذلك الوضوح المستمد من مشهور كلام العرب ،وما يقاس كذلك عليه فى النص القرآنى الذى التزم فيه نفس الرؤية القريبة لظواهره اللغوية ، يقول :" ورأى الطائى الطباق فى أشعار العرب ، وهو أكثر وأوجد فى كلامها من التجنيس ..... وهو : مقابلة الحرف بضده أو ما يقارب الضد ، وإنما قيل " مطابق"لمساواة أحد القسمين صاحبه ، وإن تضاداأو اختلفا فى المعني ، آلا ترى فى قولهم فى أحد المعنيين –إذا لم يشكل صاحبه– ليس

هذا طبق هذا ، وقولهم فى المثل " وافق شن طبقه"والطبق للشيء إنما قيل له طبق لمساواته إياه فى المقدار ، إذا جعل عليه أو غطى به وإن اختلف الجنسان .

قال عز وجل : ﴿ **لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ** ﴾ الانشقاق(١٩) أي : حالا بعد حال ، ولم يرد تساويهما فى تمثيل المعنى ، وإنما أراد جل وعز – وهو أعلم – تساويهما فيكم ، وتغييرهما إياكم ، بمرورهما عليكم ، ومنه قول العباس بن عبد المطلب :" إذا انقضي عالمٌ بَدَا طَبَق"(١).

ويقول فى موضع آخر فى أخطاء أبى تمام فى اللفظ والمعنى :

يقول :

يَدِى لِمن شَاءَ رَهنٌ لمْ يَذُقْ جُرَعًا مِنْ رَاحَتَيكَ دَرَي مَا الصّابُ وَالْعَسَلُ

وهنا يقف الآمدى مستخدما أدواته كناقد لغوى يقف على معيار اللغة فى الاحتكام حيث يقول إن المعنى" مبني على فساد لكثرة مافيه من الحذف ؛ فكأنه أراد أن يقول :

" يَدِي لمن شاء رهن " أى : أصافحه وأبايعه معاقدة أو مراهنة إن كان مَن لم يذق جُرعا من راحتيك دَرَى ما الصّابُ والعَسَل ُ، ومثل هذا لايسوغ ؛لأنه حذف (إن) التى تدخل للشرط ، ولايجوز حذفها ؛ لأنها إذا حذفت سقط معنى الشرط ، وحذف(مَنْ) وهى الاسم الذى صلته(لم يذق) فاختل البيت ، وأشكل معناه . (٢)

وليس بمستغرب أن نقف على رأى الآمدى الناقد اللغوى فى هذا البيت ، غير أننا لايمكن أن نغفل أيضا موقفه الذى وشى بظاهريته الواضحة فى البحث عن الدلالة المكشوفة ، والتركيب التقليدي ، والبناء المتعارف عليه ، والذى يصل للمتلقى واضحا دون موارية فى (تشكيل المعنى)، وهو

(١) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى ، الموازنة بين أبى تمام والبحترى،ص٢٥٤-٢٥٥.
(٢) نفسه،ص١٦٩.

ما يودى بالمتلقى فى دروب التأويل ، والبحث عن الدلالة المرادة ، وافتراض ماهيتها من حذف أو غيره ، وهذا مالا تقبله ظاهرية الناقد المستمدة من ظاهر المعنى، ومباشرة الدلالة ، ووضوح التركيب ، دون جهد أو عناء أو إبحار للوصول إليه متخذا أسلحته الظاهرية أساسا فى الدفاع عن رأيه النقدى بالاحتكام إلى كلام العرب ، وكذلك النص الشرعى فى قبول الحذف والاختصار فى حيز المألوف الشائع المأثور يقول : " والحذف لعمرى كثير فى كلام العرب ' إذ كان المحذوف مما تدل عليه جملة الكلام ، قال عز وجل : ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ..** ﴾ الروم(٨) **أراد عز وجل ﴿أو لم يتفكروا فيعلموا أنه ما خلق ذلك إلا بالحق ،أولم يتفكروا فيقولوا﴾ وأشباه ذلك كثير .**

ومن باب الحذف والاختصارقوله تعالي:﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ آل عمران (١٠٦)

قال أبو عبيدة : العرب تختصر الكلام لعلم المخاطب بما أريد ، كأنه أراد فيقال لهم : أكفرتم بعد إيمانكم ،وقوله عز وجل : ﴿**إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ**﴾ الإسراء(٧٥) يفسر ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات .

وفى الشعر مثل هذا موجود قال الشاعر :

لو قُلت مَا قَوْمِهَا لَمْ تَأثَمِ يَفْضُلُهَا في حَسَبٍ وَمِيسَمِ

يريد أحد يفضلها ، لأن الكلام يدل عليه ، وذكر ذلك سيبويه وأنشد فى باب الحذف ؛

وَمَا الدَّهْرُ إلاّ تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أمُوتُ ، وَأُخْرَي أبْتَغِي العَيْشَ أكْدَحُ

يريد فمنهما تارة أموت .

فإن تأول متأول هذا البيت على ألفاظ أخر محذوفة غير اللفظ الـذى ذكرته فالاختلال بعد قائم لكثرة ما حذف منه ، وسقوط الدليل عليه "[١]

ويبدو فى المثال السابق كيف اتضحت خلفية الناقد العقائدية ، فغلفـت الظاهرية بأصولها الحكم النقدى ، فطبق الناقد ظاهريته فى الاحتكام إلى ما جاء عن العرب ،وكذلك رجالها كسيبويه ، وكذلك الاحتكـام إلـى الـنص الشرعى (القرآن الكريم) غير أننا أيضا نقع على النص الشعرى الذى أكد الناقد من خلاله شروط قبول (الحذف) ، تلك الشروط التي حملت فى طياتها عدم إلباس المعنى أو إشكاله ، وظهوره بما يدل عليه مباشرة دون مواربـة ،أو تأويل، وإن من الكلام ما يدل على هذا المحذوف مما يؤكـد انعكـاس ظاهرية الناقد داخل آرائه النقدية ؛ فالظاهرة مقبولـة فـى حـدود الدلالـة الظاهرة ، والتلقى المباشر دون إجهاد ،أو إعمـال للفكـر يأخـذ بـالمعنى والتركيب بعيدا عن ظاهره ، وهذا ما تستند إليه الظاهرية فى مبادئها ، كما ذكرنا فى أولى تلك المبادئ ، والتى يلتزم فيها الظاهرية بالنص الثابت فـى الكتاب والسنة ، والالتزام بحدود المعنى دون تأويل أو مجاز ،و حمل الألفاظ على مفهومها ،وهو ماعرف عندهم (بالأخذ بظاهر اللفظ) ،وذلك بإخضاع النص الشعرى الذي جاء بلغة النص الشرعى ،وهى لغة العرب التى نـزل بها القرآن ، وكذلك مأثور العرب ،وقواعدهم المستخدمة لفهم هـذا الـنص فهما واضحا مباشرا ؛فالقرآن والسنة حُمل فيهما اللفظ عند الظاهرية علـى ظاهرهما ، كذلك النص الشعري يحمله الناقد على ظاهر لفظه ، وأى اشكال فى بنائه ،و تركيبه يحمل اللفظ ،وكذلك الدلالة بعيدا عن ظاهرها ، وهو ما يأخذه الناقد على الشاعر فاللفظ لما وضع له ظاهرا واضحا مباشرا .

وإذا كنا قد استفضنا فى إلقاء الضوء على أثر الفكر الظـاهرى فـى تشكيل آراء الآمدى ،فينبغى الإشارة إلى ما أرساه الناقد من قواعد منهجيـة

(١) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى ، الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، ص١٦٩-١٧١.

نقدية ،وقد أشار الناقد فى معرض حديثه عن أخطاء الشاعرين إلى أن "اللغة لايقاس عليها " [١]،والمقصود بقوله ذلك أن أخطاء اللغة التي يستخدمها الشعراء ،ويلجأون لها لايقاس عليها ، ولا يجب تعميمها أى لايجب أن يعممها الشعراء فى استعمالاتهم .يقول فى قول أبى تمام" وقال فى على بن الجهم :

هِيَ فُرْقَةٌ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ ماجِد فَغَدًا إذَابَةُ كلِّ دَمْعٍ جَامِدِ
فافْزَعْ إلي ذُخْرِ الشُّؤونِ وَعذْبِهِ فَالدَّمْعُ يُذْهِبُ بَعْضَ جُهْدِ الْجَاهِدِ
وإذا فَقَدْتَ أَخًا فَلَمْ نفْقِدْ لَهُ دَمْعًا ولا صَبْرًا فَلَسْتَ بِفَاقِدِ

قوله" يذهب بعض جهد الجاهد " أى : بعض جهد الحزن الجاهد ،أى الحزن الذى جهدك فهو الجاهد لك ، ولو كان استقام له(أن يقول) "بعض جهد المجهود "لكان أحسن وأليق ، وهذا أغرب وأظرف.

وقد جاء أيضا فاعل بمعني مفعول ؛ قالوا "عيشة راضية" بمعني مرضية ،و"لمح البصر" وإنما هو مُبْصَرٌ فيه، وأشباه هذا كثيرة معروفة ، ولكن ليس فى كل حال يقال ، وإنما ينبغي أن ينتهى فى اللغة إلى حيث انْتَهَوا ، ولا يُتَعَدَّى إلى غيره ؛فإن اللغة لايقاس عليها. [٢]ويمكن رد هذا القاعدة إلى مبادئ الظاهرية وأصول مذهبهم ،وهو ما أشرنا إليه سابقا من " رفض التقليد والاتباع ، وكذلك التعميم لأن ذلك يتنافي مع القرآن والسنة "التقليد حرام ، ولايحل لأحد أن يأخذ بقول بلا برهان ، برهان ذلك " قوله تعالى﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ الأعراف(٣)....." [٣]

(١) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى ، الموازنة بين أبى تمام والبحترى ،ص٢٠٢.
(٢) نفسه،ص٢٠٢.
(٣) راجع المبحث الأول من هذا البحث والحديث حول مبادئ المذهب الظاهرى وأصوله .

ج- إخضاع الصورة الشعرية لمعايير الظاهرية :

إن رؤية الآمدى للصورة الشعرية، وبناءاتها الجمالية لم تختلف عن موقفه من اللغة ،وبناءاتها اللغوية ،والتركيبية وقد أشرنا إلى رؤية الناقد للبناء الشعرى الجيد لغويا من خلال الوقوف علي رؤيته لصحة اللفظ، والمعنى ،ومباشرتهم للدلالة دون موارية ، كذلك نجد رؤية الآمدى للصورة والتى تعد الركيزة المميزة للشاعر عن غيره من الشعراء ، كما أنها الأساس فى بناء الشعر ، ولم يختلف موقف الناقد من الصورة الشعرية بجوانبها عن موقفه من اللغة ،وبناءاتها فقد اتضحت ايديولوجيته العقائدية الظاهرية فى طريقة معالجته للنصوص الشعرية للحكم على جودتها ،وصحتها من حيث تركيبها المجازى ، الذى يقوم فى المقام الأول على الخيال ، ذلك الخيال الذى يحلق بالصورة الشعرية خارج حدود المألوف، والمعقول المتوقع ، والمباشر .

غير أن موقف الناقد من الخيال ، وما جسده فى الصورة من أشكال الاستعارة ،والتشبيه وغيرهما ، خضع فى مجمله إلى خلفيته الظاهرية والذى اعتمد بدوره علي الحقيقة كركيزة أولى فى الحكم ،والتفسير ولا مجال للحيد عن هذه الحقيقة وعلاقتها بالواقع ؛ لأنها الاساس فى الأحكام الشرعية.

ويبدو أن الآمدى انطلق من موقفه من الصورة الشعرية من ذلك الأساس ؛ فحدد الإطار العام لقبول الصورة الشعرية بمجازاتها ، وما ينطلى عليه هذا الخيال من علاقات تفاعلية تثير ذهنية المتلقى إلى التخيل والتحليق.

فإذا نظرنا إلى موقف الناقد من التشبيه داخل الصورة ، نجد أنه حدد إطارا محددا لقبوله بحدوث التوافق بين المشبه والمشبه به .

هذا التوافق هو الذى يدفع المتلقى إلى التفاعل مع الصورة بشكل يسمح بالمعقولية ، يسمح بالتخيل لوجود تقارب منطقي ، أو حقيقى دون الابتعاد فى تلك العلاقة المكونة لأركان التشبيه ، والذى من شأنه إحداث الغموض ،وعدم القدرة على إيجاد علاقة مباشرة منطقية ، ووجود دليل على

علاقة المشبه ،والمشبه به ،وهو ماسمى فى عمود الشعر " المقاربة فى التشبيه " ،وقد حدد الآمدى كذلك حدود قبوله للتشبيه فيما يتوافق مع تشبيهات العرب ،والمألوف عندهم دون الخروج على طرائقهم فيه.

يقول الآمدى فى أخطاء أبى تمام "قوله:

وَاكْتَسَتْ ضُمّرُ الجيَادِ المَذَاكِي مِنْ لِبَاسِ الهَيْجَا دَمًا وَحَمِيمَا

فى مَكَرٍ تَلُوكُهَا الحَرْبُ فِيهِ وَهْيَ مُقْوَرّةٌ تَلُوكُ الشّكِيما

فهذا معنى قبيح جدا : أن جعل الحرب تلوك الخيل من أجل قوله "تلوك الشكيما " و"تلوك الشكيما " أيضا ههنا خطأ ؛ لأن الخيل لاتلوك الشكيم فى المَكَر .وحَوْمَة الحرب ، وإنما تفعل ذلك واقفةً لامكرّلها فإن قيل : إنما أراد الحرب تَلُوكُها كما تلوك هى الشكيم .

قيل : هذا تشبيه ، وليس فى لفظ البيت عليه دليل ، وألفاظ التشبيه معروفة ، وإنما طرح أبوتمام فى هذا قلة خبره بأمر الخيل ، ألا ترى إلى قول النابغة :

خَيْلٌ صِيَامٌ ، وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ العَجَاجِ ، وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللجُمَا

والصيام ههنا القيام ، أى خيل واقفة مستغني عنها لكثرة خيلهم فهى واقفة ، وخيل تحت العجاج فى الحرب، وخيل تعلك اللجما ، وقد أُسرجت وألجمت وأعدت للحرب ....." (١)

ويؤكد الناقد على ضرورة وجود هذا التقارب بين طرفى التشبيه ، حتى وإن كان تقاربا جزئيا غير أنه يحدث ذلك الوضوح فى بنية التشبيه وكذلك بنية الصورة.

يقول الآمدي في قول البحترى :" وسمعت قوما ينكرون قوله في وصف الخمر ،

وفواقع مِثْل الدُّمُوعِ تَرَدَّدت فِي صَحْنِ خَدّ الكاعِبِ الحَسْنَاءِ

(١) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى، الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، ص ٢١٦.

ويقولون أن الدمع لاتترد فى الخد كما يتردد الحباب فى الكأس ، وإنما الدمع يجرى ويتابع .

والمعني صحيح ، ولاعيب فيه ؛ لأن التردد قد يكون اَلْجوَلان ، وقد يكون التتابع والتواتر ، يقال : قد تتابعت كُتُبي إليك ،وترددت ؛ بمعني تَواترت رُسُلى وتتابعت ، والكتاب الأول هو غير الثاني .كذلك قد يكون الرسول الأول غير الرسول الثاني .....وهذا من أحسن التشبيه وأليقه ؛ لأن الخمر قد يكون منها ماهو أحمر إلى التورد الخفيف كحمرة الخد ، وخاصة إذا أُرقّتْ بالماء ؛كما قال الشاعر :

كُمَيْت إذا فُضَّتْ ، وفي الكأسِ وَرْدَةٌ لها في عِظَامِ الشارِبينَ دَبِيبُ

فإذا شُبّهَت الخمرة بالخد وذكر الحَبَاب فمن أَلْيَقِ ما شبه به وأحْسَنِهِ وأصحه الدمع ؛ لأن الدمع قد يقف فى الخد كوقوف الحباب فى صحن الكأس ، وباب اختلاف حركة الحباب وحركة الدمع فليس كل شيء يشبه بشيء يقع التشبيه فيه من جميع الجهات حتى لايغادر منها شيئا ، وقد يكون إنما شبه به ببعض ما فيه لابكله." (١)

وقد أشار الناقد إلى جمالية التشبيه بوجود ذلك التقارب الجزئى الذى يحقق جمالية الصورة والدلالة ،وهذه المقاربة هى التى تقرب الصورة من ذهنية المتلقى لتصبح مستساغة ، مألوفة أكثر وضوحا وإدراكا.

حتي أن الناقد حدد شروطا لتلك المقاربة لاتتحقق إلا من خلالها فجعلها فى حدود المعانى الحقيقية الواضحة المتعارف عليها، والمأخوذة عن العرب ، والتى أيضا لم تخرج عن طرائقهم .

"يقول الأمدى في قول البحترى :

ذَنَبٌ كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ عُرْفٍ ، وَعُرْفٌ كالقِنَاعِ المُسْبَلِ

(١) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى ، الموازنة بين أبى تمام والبحترى ،ص٣٦٥-٣٦٦.

هذا خطأ من الوصف ؛ لأن ذَنَب الفَرَس- إذا مس الأرض كان عيبا فكيف إذا سحبه ، وإنما الممدوح من الأذناب ماقرب من الأرض ،ولم يمسها ، كما قال امرؤ القيس :

(بِضَافٍ فُوَيْقَ الأرضِ لَيْسَ بِأعْزَلِ)

فقال " فويق الأرض " (أى : فوق الأرض) بقليل وقد عيب على امرئ القيس قوله :

لَهَا ذنَبٌ مِثْلُ ذَيْلِ العَرُوسِ تَسُدُّ بِهِ فَرْجَها مِنْ دُبُرْ

وما أرى العيب لحق امرأ القيس فى هذا ؛ لأن العروس إذا كانت تَسْحَبُ ذيلها ، وكان ذنب الفرس إذا مسّ الأرض فهو عيبٌ ؛ فليس ينكر أن يشبه الذنب به إن لم يبلغ أن يمس الأرض ؛ لأن الشىء إذا قرب منه أو دنا من معناه ، فإذا أشبهه فى أكثر أحواله فقد صح التشبيه ، ولاق به ، ولأن امرأ القيس لم يقصد طول الذنب أن يشبه بطول ذيل العروس فقط ، وإنما أراد السبوغ والكثرة والكثافة ، ألا تراه قال : " تسد به فرجها من دُبُرْ " وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفا ، بل يكون رقيقا نَزْرَ الشعر خفيفا ؛ فلايسد فرج الفرس ، فلما قال " تسد به فرجها " علمنا أنه إنما أراد الكثافة والسبوغ مع الطول ، فإنما أشبه الذنب الطويل ذيلَ العروسِ من هذه الجهة ، وكان فى الطول قريبا منه ؛ فالتشبيه صحيح ، وليس ذلك بموجب للعيب ، ولا أن يكون ذنب الفرس من أجل تشبيهه بالذيل مما يحكم على الشاعر أيضا أنه قصد إلى أن الفرس يسحبه على الأرض ، وإنما العيب فى قول البحترى " ذنَبٌ كما سُحِب الرداء " فأفصح بأن الفرس يسحب ذنبه"(١).

ويؤكد الناقد على شروط قبول التشبيه ، فالخروج عن حدود المعنى يؤدى إلى فساد الصورة ، حتى وإن كان التشبيه سليما من الناحية البنائية ، غير أنه خرج بالمعنى عن حدود المألوف والمتعارف والمقبول عند العرب،

(١) الحسن بن بشر الآمدى ، الموازنة بين أبى تمام والبحترى، ص٣٣٩-٣٤٠.

وقد تلقى الناقد الصورة بما فيها من تشبيه ، مقيدة بضوابط لايحيد عنها وهى فى المقام الأول تعنى بالوضوح واللياقة ،وسهولة الإدراك ،وذلك ما يحدثه التشبيه إذا وقع فى حدود المعاني ؛لأن الإخلال بذلك يؤدى إلى فساد المعنى وفساد الدلالة ، ومن ثم الإغراق ،وإعمال العقل وهومالايتناسب مع ذائقة الناقد ، التى تميل إلى الوضوح الذى يحدثه المعني القريب ،والصورة القريبة ،ونستطيع أن نؤكد ذلك من موقفه من بيت امرئ القيس وصحة تشبيهه وذلك بقوله " إن الشيء إنما يشبه بالشيء إذا قرب منه أو دنا من معناه ، فإذا أشبهه فى أكثر أحواله فقد صح التشبيه ولاق به ....."[١].

فالقرب بين طرفى التشبيه ،والاقتراب من معناهما فى الدلالة ،وفى الوصف بوجود علاقة بينهما هو التشبيه المقبول عند الآمدى فإذا اقترب المشبه وصفاته ودلالته وأحواله من المشبه به كان أليق بهما التشبه ببعضهما لسهولة التصور والتخيل ،وكذلك سهولة فهم الصورة ووضوحها .

والناقد هنا أكد بكل صراحة التزامه بما جاء عن العرب ، ولم يسمح للشاعر وهو فى القرن الثالث الهجرى أن يجنح بخياله ،وصوره بعيدا عن شطآن سابقيه ،ويرى أحد الباحثين أن " هذا تشبيه يتجاوز المعنى الحسى الذى فهمه الناقد ، الذي أخذ المعنى معزولا عن سياقه وعن بقية المعانى ، ولأنه كذلك ينطلق فى نقده للنص من الخارج،....."[٢].

ومن ذلك أيضا موقف الآمدى من "قول البحترى :

يَا هِلاَلاً أَوْفَى بِأَعْلَى قَضِيبٍ وَقَضِيبًا عَلَى كَثِيبٍ مَهِيلِ

وقالوا: هذا خطأ ؛ لأن الكثيب – إذا كان مهيلاً–فإنه يذهب ولا يستمسك ، وذلك مذموم من الوصف ، قالوا : والجيد قوله :

كالبَدْرِ غَيْرَ مُخَيل وَالغُصْنْ غَيْرِ مُمَيَّلٍ وَالدّعْصِ غَيْرَ مهيل

(١) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى ، الموازنة بين أبى تمام والبحترى،ص٣٤٠.

(٢) سميرة بوجرة ، الشواهد الشعرية فى كتاب الموازنة، ص١٦٩.

وقالوا : قد تراه هنا كيف شرط فى الدّعْصِ- لما شَبّهَ العَجُزَ به- أنْ جَعَلَه غير مهيل ؛ لأن العرب إذا شبهت أعجاز النساء بِكُثبان الرمل شَرَطت فيها أن تكون ندية ، وأن تكون ممطورة، كما قال الراجز :

جُبْنَ بأعْجازٍ لَهُنّ نَاوِيَهْ كَأَنَّهَا الكُثْبَانُ غِبَّ سَارِيَهْ

ناوية: سِمَانٌ ، من النىّ وهو الشحم ..... (١).

وقد أشار الآمدى للكثير من تشبيهات أبى تمام التي لم يرض عنها لعدم توافر مبدأ المقاربة ،وكذلك خروجها عما ألفته العرب فى تشبيهاتهم ،ومعانيهم المكونة للصورة ،ومن ذلك على سبيل المثال قول الآمدى فيما أنكر أبو العباس أحمد بن عبيد الله على أبى تمام قوله :

هادِيهِ جِذْعٌ مِنَ الأراكِ ، وما تحت الصَّلا مِنْهُ صَخْرَةٌ جَلْسُ

قال : هذا من بعيد أخطائه أن شبه عنق الفرس بالجذع ، ثم قال " جذع من الأراك" ومتى رأى عيدان الأراك تكون جذوعا ؟ وتشبه بها أعناق الخيل ! وأخطأ أبو العباس فى إنكاره على أبى تمام أن شبه عنق الفرس بالجذع ،وتلك عادة العرب ، وهو فى أشعارهم أكثر من أن يحصى ، وقد بينت ذلك فيما غلط فيه أبو العباس على أبى تمام .

وأصاب أبو العباس فى إنكاره أن تكون عيدانُ الأراك جُذُوعًا ، وإن لم يلخص المعنى ؛ لأن عيدان الأراك لا تَغْلُظُ حتى تصير كالجذوع ، ولا تقاربها . (٢)

فالناقد لايعنيه الشعر كرؤية جديدة تحمل من القيم الدلالية مايتجاوز عن الدلالات الواضحة المباشرة ،بل يعنيه تلك النزعة اللغوية التى حملت بين طياتها مذهبية التلقى ،وانعكاس ذلك على مواقفه التى شغل فيها الناقد بالتمسك بشروطه لقبول الصورة ،ومن قبلها اللفظ ،والمعنى تلك الرؤية التى

(١) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى،الموازنة بين أبى تمام والبحترى ،ص٣٤٩-٣٥٠.
(٢) نفسه،ص ١٢٦-١٢٧،راجع ص١٢٨حتي ص١٤٠.

خضعت لنزعات القدماء فالآمدى" ينزع إلى المعنى المتداول الجارى على العرف العربى والمعنى الحقيقى والحسى(١) .

ولعل الناقد فى مواقفه من التشبيه ،وضوابط قبوله انصاع لمذهبيته الظاهرية التى تشدد فيها بالوضوح ،وقرب المعنى ،ومباشرة اللفظ التى تتحقق فى الصورة بالمقاربة بين طرفى التشبيه والذى يقوم فى داخله على مبدأ اللياقة بينهما مما يحقق سهولة الإدراك ،وسلاسة التصور كذلك لايمكن تحقق تلك المقاربة إلا فى حدود المعانى بصحيحها ،ومألوفها عند العرب القدماء فى أشعارهم ،ويمكننا القول :إن الناقد اعتمد فى مواقفه من الصورة على الارتكاز على الحقيقة ، وهى الأساس الذى بنى عليه الآمدى آراءه ،وهى الأصل الذى قامت عليه الظاهرية فنجد أن " التشبيه يقوم على ملاحظة نوع من النسبة المنطقية بين الأطراف المقارنة ،أكثر مما يقوم على مايمكن أن نسميه بالتناسب النفسى ، الذى ينبع من المواقف والانفعالات الإنسانية التى يتشكل منها نسيج التجربة الشعرية ، إن التشبيه صفة الشىء بما قاربه وشاكله "(٢)

فالمنطق والحقيقة هما المعول الأول لقبول الصورة ، وهما السبيل إلى فتح سبل الإدراك والتلقى لدي المتلقى دون عناء ،أو تعقيد ؛ فالأصل فى الصورة المقبولة عند الآمدى الوضوح كما أن الأصل عند الظاهرية هو الوضوح أيضا ،والمباشرة ،والابتعاد عن التأويل ،وإرهاق العقل .

وهناك من الباحثين من يرى أن رؤية الآمدى بكونه من أكابر نقاد القرن الرابع الهجري ، ومع سعة اطلاعه ،وثقافته اللغوية والأدبية غير أنه احتكم فى أحكامه إلى أمور نقيض ذلك فهو ليس من النقاد الذين يغفلون أن "الأصل فى الصورة التشبيهية أن يكون قائما على الابتكار والجدة والغرابة

(١) سميرة بوجرة، الشواهد الشعرية فى كتاب الموازنة، ص١٢٩.

(٢) د. جابر عصفور ، الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى عند العرب ، المركز الثقافى العربى،ط٣، ١٩٩٢،ص١٧٣.

بحيث إن الصورة تفاجئ القارئ ، وتثير الدهشة والاستغراب ، وهذا حين يتمكن خيال المبدع من إيجاد علاقات مشتركة بين أشياء متباعدة ودلالات لايمكن أن يتصورها الإنسان العادي ." (١)

وهو مانستطيع أن نطلق عليه اللغة المبتكرة التى يحلق بها الشاعر بأدواته بعيدا عن المألوف والمتعارف غير أن الناقد "يأوى فى نقده إلى ركن شديد .يجعله أساسا لنظرته النقدية وهو الرجوع فى كل أمر يختلف فيه المتذوقون والنقاد إلى ما تعارفته العرب وأقرته وأثر عنها .فكما أن على الشاعر أن يلتزم "عمود الشعر " فإن على الناقد أن يلتزم "عمود الذوق "وإلا فلا معنى للدربة والتمرس وطول النظر فى آثار السابقين فمن هذه الدربة يتكون ذوق الناقد . ومنها يستدل علي ماجرت به العادة ،فيتمكن من الحكم على إحسان الشاعر أو إساءته بالنظر إلى ماجرت عليه العرب فى طريقتها ؛ ولايقف هذا الأمر عند حدود اللفظ ومايجوز فى الاستعمال وما لايجوز بل يتجاوزه إلى دقائق المعانى والصور والأخيلة ....." (٢)

وعلى مايبدو لنا أن تمسك الناقد بنهج القدماء ،وطرائقهم ، ونظرته إلى الشعر عند أبى تمام والبحترى ،والارتكان إلى أحكام شديدة لاتتناسب ،والعصر ،ومؤثراته ،وثقافته ،ومتغيراته والتمسك بتلك الضوابط التى عرفت فيما بعد بعمود الشعر العربي ليس عن جهل ،أو تعصب ،أو تغاض بينما هو بالفعل احتكم لذوقه ، ذلك الذوق الذى أسهمت العديد من العوامل فى تكوينه ،ومنها لغويته ،وكذلك مذهبه الفكرى العقائدى الذى اعتمد فى أساسه على استقاء الشاهد من لغة القدماء سواء أكان الشاهد الشرعى الذي نزل بلغتهم ،أم الشاهد الشعرى الذى عكس أدبهم وحياتهم . فمرجعية الناقد

(١) سميرة بوجرة، الشواهد الشعرية فى كتاب الموازنة، ص ٢١٤.
(٢) د. إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، ص ١٦٦-١٦٧.

كانت أقوى من ذلك التجديد ، وتلك المتغيرات التى تبعد تمام البعد عن ذوقه وتكوينه النقدى .

وإذا تحدثنا حول التشبيه ،سنجد أنه الأقرب والمألوف فى تكوين الصورة عند القدماء " الفتنة بالتشبيه فتنة قديمة بل إن البراعة فى صياغته اقترنت لدى بعض الشعراء الأوائل بالبراعة فى نظم الشعر نفسه "(١)

فالتشبيه عند الناقد هو المكون الأول للصورة بما فيه من ضوابط المقاربة والمألوف ، وكذلك الوقوع فى حدود المعانى بينما نجد الاستعارة ، وموقف الناقد، وغيره من النقاد اللغويين منها على غير ذلك . (٢)

وقد كثر ورود التشبيه فى الشعر الجاهلى مما جعله محط أنظار النقاد قديما .

وربما أيضا تعامل النقاد وعلى رأسهم الآمدى مع الاستعارة بكونها إعصارا يعصف بمكونات الصورة ، وضوابط نسجها وبنائها ؛ فالاستعارة تعبث بالمتوقع وتحلق بالخيال ، والمجاز خارج حدود المألوف،ومن ثم تحتاج بالضرورة إلى إمعان فى الفهم ، ومقدرة على الربط والتحليل خارج حدود الحقيقة والمتوقع .

فجاء موقف الآمدى خاصة من استعارات أبى تمام عاكسا ذوقه النقدى، ومرجعيته الدينية ، والثقافية ، والنقدية لما عرف عن استعارات أبى تمام من جنوح إلى الفلسفة ، والتعقيد ،والغموض ، والخروج على حدود المعانى المعروفة والمألوفة ، كذلك الابتعاد بالخيال عن التصور ، وما يربطه من علاقات حقيقية تسمح بالوضوح والمباشرة كما فى التشبيه ؛فالاستعارة تحكم بعلاقات تتخطى هذ النمط من الفهم المباشر؛ فاتضحت ظاهرية الناقد دون مواربة ، وهو الذى لم يعترف سوى بالحقيقة ،والوضوح

(١) د. جابر عصفور ، الصورة الفنية فى التراث النقدى البلاغى عند العرب ، ص ١٠٤.
(٢) راجع نفس المرجع ، ص١٠٣حتي ١٢٣.

والمنطقية ،وطالما استهجن الغموض والبعد عن المعروف المتداول ، وعندما مثلت الاستعارة وجودا ضاغطا لدى المحدثين ، فاختلفت عن القدماء كان على الناقد أن يتقبلها بضوابط تحدد قبولها كغيرها من البنية الشعرية والجمالية، ونستطيع تلمس أثر الظاهرية فى مواقفه من الاستعارة.

فالحقيقة عنده مقدمه على المجاز" لابد أن تتأكد أولا فكرة استهواء الآمدى ، وميله للاستعمال الحقيقي على الاستعمال المجازى ، فهو كثيرا ما يرفض تلك الاستعارات التى تأخذ بذهن القارئ إلي بعيد ليعود وليس فى عوده أى زاد من ذلك الإغراق الفكرى ....بل كلما كان المعنى واضحا كان أجمل وأحلى فى النفس فعنده"كل ما دنى من المعانى من الحقائق كان ألوط بالنفس وأحلى فى السمع "(١).

وهنا يتضح أثر الفكر الظاهرى حيث يميل الآمدى إلى الاستعمال الحقيقى الظاهرى دون الاستعمال الاستعارى أو المجازى ،فيرفض الاستعارات التى تأخذ بذهن القارئ الى المعنى الخفى غير الظاهر، وهو الذى يوقع فى اللبس والغموض ، فهو لايسمح بتعددية الدلالة ،وبالتالى تعددية التلقي والفهم ، والإغراق الفكرى بانفتاح النص ،وهنا يظهر أثر تمسكه بضوابط التعامل مع النص الشرعى بالأخذ بظاهر اللفظ ،وتوحيد الدلالة بما جاءت فى اللغة على ظاهرها دون غوص فى دلالتها العميقة.

ويتضح موقف الناقد من استعارات أبى تمام محددا كعادته ضوابط قبول الاستعارة .

يقول : "فمن مرزول ألفاظه ، وقبيح استعاراته قوله

يا دَهْرُ قَوّمْ مِنْ أخْدَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذا الأنَامَ مِنْ خُرُقِكْ

(١) جبابرى عبد الغنى ، الأسس الجمالية فى موازنة الآمدى ، رسالة ماجستير ، الجزائر ، جامعة أبى بكر بلقابد تلمسان ، ١٤٣٤/١٤٣٥ه -٢٠١٣م/٢٠١٤م،ص ٨٠.

أى ضرورة دعته إلى الأخدعين ؟ وكان يمكنه أن يقول " من اعوجاجك " أو "قوم ما تعوج من صنعك " أى : يا دهر أحسن بنا الصنيع ؛ لأن الأخرق هو الذى لايحسن العمل ، وضده الصنع ....." [١]وقد أفرد الناقد جزءا من موازنته ليتحدث عن بعيد استعارات أبى تمام[٢]

يقول الآمدى " وأشباه هذا مما إذا تتبعته فى شعره (وجدته) ؛ فجعل كما ترى –مع غثاثة هذه الألفاظ – للدهر أخدعا ، ويدا تقطع من الزند ، وكأنه يصرع ، ويحل ، ويشرق بالكرام ، ويبتسم ، وأن الأيام تنزله ، والزمان أبلق ، وجعل للمدح يدا ،ولقصائده مزامر إلا أنها لا تنفخ ولا تزمر ، وجعل المعروف مسلما تارة ومرتدا أخري .....وهذه استعارات فى غاية القباحة والهجانة والبعد عن الصواب "[٣]

ويحدد الآمدى شروط قبول الاستعارة بقوله" وإنما استعارت العرب المعني لما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه ، أو يشبهه فى بعض أحواله ، أو كان سببا من أسبابه ، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشىء الذى استعيرت له ، وملائمة لمعناه ، نحو قول امرئ القيس:

فَقُلْتُ لَهُ لَمّا تَمَطَّى بَجَوْزِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَبِكَلْكَلِ

وقد عاب امرأ القيس بهذا المعنى مَنْ لم يعرف موضوعات المعانى ولا المجازات وهو فى غاية الحسن والجودة والصحة ، وهو إنما قصد وصف أجزاء الليل الطويل فذكر امتداد وسطه ، وتثاقل صدره للذهاب والانبعاث ، وترادف أعجازه وأواخره شيئا فشئيا ، وهذا عندى منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته ، وذلك أشد ما يكون على من يراعيه ويترقب تصرمه ؛ فلما جعل له وسطا يمتد وأعجازه رادفة للوسط وصدرا متثاقلا فى نهوضه حسن أن يستعير للوسط اسم الصلب ، وجعله متمطيا من

(١) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى ،الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، ص٢٤٠.
(٢) راجع نفس المرجع ،ص٢٢٧-٢٤٦.
(٣) نفسه ،ص ٢٣٣-٢٣٤.

أجل امتداده ؛ لأن تمطى وتمدد بمنزلة واحدة ، وصلح أن يستعير للصدر اسم الكلكل من أجل نهوضه ، وهذه أقرب الاستعارات من الحقيقة ، وأسدُّ ملاءمة لمعناها لما استعيرت له"(١)

وقد حدد الناقد هنا شروط قبول الاستعارة ، بالملاءمة بين طرفيها ،وذلك يتحقق بالألفاظ اللائقة بالشيء الذى استعيرت له ،والملاءمة معناه .

إذا لم يستطع الناقد أن يتخطى مرجعيته الفكرية فى وضع ضوابط الاستعارة فلم تخرج عن ظاهريته المدعومة بالحقيقة ، تلك الحقيقة التى تحقق الوضوح ،والمباشرة ،والدلالة الظاهرة والصورة القريبة حتى مع كون الاستعارة قائمة على المجاز والخيال ؛غير أنه ذلك الخيال المقيد للشاعر بوجود قرينة بين المستعار والمستعار منه تلك القرينه تصنع تلك الملائمة دون الابتعاد عن الوضوح بل ترسخه ...فالمجاز تقيده الحقيقة التى تصنعها الملاءمة فالآمدى يقر بأن أقرب الاستعارات من الحقيقة ، وأسدُّ ملاءمة لمعناها لما استعيرت له هى الاستعارات الجيدة.

يقول الآمدى فى قول أبى تمام، " ومن أخطائه قوله:

بِيَوْمٍ كَطُولِ الدّهْرِ في عَرْضِ مِثْلِهِ وَوَجْدِي مِنْ هذا وَهذاكَ أَطْوَلُ

فجعل للدهر –وهو الزمان – عَرْضًا ، وذلك محض المحال ، وعلى أنه ما كانت به إليه حاجة ؛ لأنه قد استوفى المعنى : " كطول الدهر " فأتى على العرض فى المبالغة .

فإن قيل : فلم لايكون سَعَةً ومجازا؟

قيل : هذه ألفاظ صنعتها صنعة الحقيقة ، وهى بعيدة من المجاز فى هذا له صورة معروفة ، وألفاظ مألوفة معتادة ، لايتجاوز فى النطق بها إلى ماسواها ، وهى قول الناس : عشنا فى خفض ودعة زمانا طويلا عريضا ، وما زلنا فى رخاء ونعمة الدهر الطويل العريض .

(١) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى ، الموازنة بين أبى تمام والبحترى، ص ٢٣٤.

وإنما أرادوا(إتمامه وكماله واتساعه لهم بما أحبوه ؛ لأنهم إذا وصفوا بالطول والعرض ماله طول وعرضٌ على الحقيقة فإنما يريدون) تمامه وكماله وسعته ،ونحو قولهم : ثوب طويل عريض ، أى : تام واسع ، وأرض طويلة عريضة ،أى : تامة فى الطول والسعة ، وكذلك إذا وصفوا ما ليس له طول ولاعرض على الحقيقة فإنما يريدون التمام والكمال ، ألا ترى إلى قول الراعى :

أَنْتَ ابْن فَرْعَىْ قُرَيْشٍ لَوْ تُقَاسِمُها فى الْمَجْدِ صَارِ إِلَيْكَ الْعَرْضُ وَالطُّول

فاستعار للمجد ههنا الطول والعرض ؛ لأنه أراد صار إليك المجد بتمامه وكماله .....وكما قال الله عز وجل : "**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ** " آل عمران(١٣٣) أى سعتها ، وكما قال الله – عز وجل– فى موضع آخر:" **وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ**" فصلت (٥١) .....

"وإنما تستعار اللفظة لغير ما هى له إذا احتملت معنى يصلح لذلك الشىءالذى استعيرت له ويليق به ؛ لأن الكلام إنما هو مبنى على الفائدة فى حقيقته ومجازه ،وإذا لم تتعلق اللفظة (المستعارة بفائدة فى النطق فلا وجه لاستعارتها ، ولو كان الزمان يوصف) بالعرض على الحقيقة –وهذا محال– لما كان فى بيت أبى تمام معنى ؛ لأنه إنما أراد أن يبالغ فى طول وَجْدِه ؛ إذ كان الوَجْد يوصف بالطول ، كما يوصف به الشوق والغرام ونحوهما ؛فيقال: طال وجدى ، وطال شوقى ، وطال غرامى." (١).

إذا الخيال والمجاز المقبول لدى الناقد فى بناء الاستعارةهو المرتكز على الحقيقة ؛تلك الحقيقة التى تقرب الصورة من الأذهان بإمكانية التصور بوجود تلك القرينة التى تحدث الملاءمة ؛لذا عاب الناقد على أبى تمام افتقار استعاراته لتلك الملاءمة ؛ مما يحدث ذلك الغموض والتعقيد فتبتعد الصوره عن جمالها .

(١) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى ، الموازنة بين أبى تمام والبحترى ،ص ١٧٥–١٧٩.

وقد احتكم الناقد كعادته إلى أشعار القدماء، وأخضع ضوابط الاستعارة إلى نهجهم ، مخالفا بذلك ذوق عصره ،منساقا لذوقه، ومرجعياته اللغوية ، والثقافية ، والدينية .

وقد حدد الناقد حدودا للمجاز والاستعارة ، تلك الحدود لايسمح للخيال بتجاوزها ، وإن كان للآمدى قد قبل الاستعارة فلابد لها من " المناسبة بين المستعار والمستعار له – وتكون هذه المناسبة قربا أو تشابها أو علاقة ما يقبلها الذوق –العربى– الذى تعود صلاة خاصة وعلاقات معينة بين الأشياء فى الشعر والقول بصفة عامة ، لا أن تكون الاستعارة بعيدة غير مناسبة فتبدو ممجوجة فيها التفاوت والإغراب فتنفر بدلا من أن تربط وتدعم بين المعانى "(١)

وقد وضع الناقد تلك الحدود لقبول الاستعارة بإخضاعها للنهج العربى القديم ، كذلك لم ينس أن يخضع الاستعارة ببناءاتها إلى نهج كلام الله تعالي كعادته ، وقد أخضع الصورة الشعرية باستعاراتها لضوابط النص الشرعى كما ذكرنا مما يشى بأثر مذهبه الظاهرى فى تكوين أحكامه النقدية يقول : " وعلى هذا جاءت الاستعارات فى كتاب الله تعالى اسمه ، نحو قوله عز وجل :" **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**" مريم(٤) لما كان الشيب يأخذ فى الرأس ، ويسعى فيه شيئا فشيئا حتى يحيله إلى غير حاله كالنار التى تشتعل فى الجسم من الأجسام فتحيله إلى النقصان والاحتراق، وكذلك قوله تعالى :" **وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ** " يس (٣٧) لما كان انسلاخ من الشىء ، وهو أن يتبرأ ويتزيل منه حالا فحالا كالجلد من اللحم وما شاكلها جعل انفصال النهار عن الليل شيئا فشيئا حتى يتكامل الظلام انسلاخا ، وكذلك قوله عز وجل:"

(١) د محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبى والبلاغة حتى القرن الرابع الهجرى ، ص٢٤٨-٢٤٩.

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ الفجر(١٣) لما كان الضرب بالسوط من العذاب استعير للعذاب السوط فهذا مجرى الاستعارات فى كلام العرب "[١]

ويؤكد الناقد هنا على وضوح الاستعارات القرآنية بوجود تلك العلاقة بين المستعار له والمستعار منه مما يقرب المعنى ، ويوضحه دون عناء فى فهمه أو تحليله مؤكدا أن استعارات القرآن الكريم هى أساس الاستعارات عند العرب مقارنا ذلك باستعارات أبى تمام يقول " وأما قول أبى تمام" ولين أخادع الزمن الأبى" فأى حاجة إلى الأخادع حتى يستعيرها للزمن ، وكان يمكنه أن يقول : ولين معاطف الدهر الأبى ، أو لين جوانب الدهر ، أو خلائق الدهر ، كما نقول: فلان سهل الخلائق ، ولين الجوانب ، وموطأ الأكناف ، ولأن الدهر قد يكون سهلا وحزنا ولينا وصعبا علي قدر تصرف الأحوال فيه ؛ لأن هذه الألفاظ كانت أولى بالاستعمال فى هذا الموضع ، وكانت تنوب عن المعنى الذى قصده ، ويتخلص من قبح الأخادع ؛ فإن فى الكلام مُتَّسَعًا ألا ترى إلى قوله ما أحسنه ، وما أوضحه :

لَيَالِي نَحْنُ فى وَسَنَاتِ عَيْش كَأَنَّ الدَّهرَ عَنَّا فى وَثَاق
وَأَيَّامًا لَنَا وَلَهُ لِدَانًا غَنِينَا فى حَوَاشِيهَا الرّقَاق

فاستعار للأيام الحَواشِي وقوله:

أيّامُنا مَصْقولَةٌ أَطرَافُهَا بِكَ ، واللَّيَالِى كُلُها أسْحَارُ

وأبلغ من هذا وأبعد من التكلف ، وأشبه بكلام العرب قوله:

سَكَنَ الزَّمَانُ فَلا يَدٌ مَذْمُومَةٌ للحَادِثَاتِ وَلا سَوامٌ تُذْعَرُ

فقد تراه كيف يخلط الحسن بالقبيح ،والجيد بالردئ ، وإنما قبح الأخادع لما جاء به مستعارا للدهر ، ولو جاء فى غير هذا الموضع أو أتى به حقيقة ووضعه فى موضعه ماقبح "[٢]

(١) الحسن بن بشر الآمدى ، الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، ص٢٣٧-٢٣٨.
(٢) نفسه ، ص٢٣٨-٢٣٩.

والمتأمل للنص السابق بقوله فيما استحسن من استعارات أبـــى تمـــام قوله: (ما أوضحه .....أتى به حقيقة ...)

فالاستعارات الجيدة تبنى على الحقائق التى تحققها الملاءمة فتقربها من خيال المتلقى، وتبعدها عن الإغراق فى الفكر ،وتجنح به نحو الوضوح المباشرة . كذلك اعتمدت الاستعارة على اللفظ الحقيقى المعتاد المألوف بعيدا عن الدلالة التى يصعب توقعها.

فالآمدى لم يسمح " لتصور الشعراء أن يتجاوز حـــدود اللغـــة فـــى استعمال الخيال ، فهو لايعتد كثيرا بتلك المجـــازات والاســـتعارات التـــى يستخدمها الشعراء، ويخرجون بها عن منطق اللغة ، بل على الشاعر حتى يصل إلى جمالية الصورة أن يلتزم الحدود المنطقية التى وضعها له أسلافه ،وأى خروج عن تلك الحدود يعد خروجا عن قواعد اللغـــة التـــى أرســـاها الأوائل ؛فجمال الصورة لايكمن فى خفاء دلالتها "[١]

وهناك من يرى أن الصورة ببناءاتها ومافيها من استعارة " لا تعتـــد كثيرا بالتمايز والوضوح المنطقيين ، ولا تعتمد كثيرا على حـــدود التشـــابه الضيقة بقدر ما تعتمد على تفاعل الدلالات الذى هـــو –بـــدوره– انعكـــاس وتجسيد لتفاعل الذات الشاعرة مع الموضوعات "[٢]

واختلفت رؤية الآمدى حول ترك العنان لخيال الشاعر مقيـــدا إيـــاه بضوابط الملاءمة ،والمقاربة والحقيقة، والوضوح ،والمباشرة والبعد عـــن التعقيد ،والغموض ،وإعمال الفكر ،وانفتاح الدلالات .

إذا هى عملية التلقى التى تشكلها ذائقة الناقد ،ومرجعيتـــه الثقافيـــة ، والدينية، التى أخضعت النص الشعرى ،وبناءاته الجماليـــة إلـــى مبـــادئ الظاهرية التى ذكرناها ،والتى توافقت ،وانعكست داخل آراء الناقـــد بشـــكل

(١) جبابري عبد الغنى ، الأسس الجمالية فى موازنة الآمدى ، ص١٠٥.
(٢) د. جابر عصفور ، الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى عند العرب ، ص٢٠٥.

مباشر ،وغير مباشر، وقد وظف الناقد كل أدواته اللغوية ،والأدبية والدينية والنقدية للحفاظ على النص الشعري بجماليته الظاهرية الواضحة التى لاتخرج لآفاق التأويل مما يحدث اختلالا فى التلقى يبعد النص عن جماليته بدعوى ذوق العصر ،فكما فسر الظاهرية النص الشرعى ، حللوا النص الشعرى .

وهنا يرى بل يؤكد د إحسان عباس بوضوح أن " وراء بعض أحكام الآمدى أثرا دينيا ،فأكثر استعارات أبى تمام التي يجدها الآمدى غثة إنما تتعلق بالدهر والزمان وربما ارتبط هذا –ارتباطا شعوريا أو لا شعوريا – بمايروى فى الأثر " لا تسبوا الدهر". (١)

وهذا ما أشرنا إليه آنفا من اعتبار مرجعية الناقد الثقافية، وكذلك الدينية محركا لآرائه، ومواقفه النقدية.

ولعل " رفض الآمدى للتجاوز العقلى فى الصورة الشعرية نابع من مبدأ الوضوح الذى كان يبني عليه الشاعر المطبوع تشبيهاته ، واستعاراته ، فحرصه على نقل الصورة إلى المتلقى واضحة بعيدة عن الحياة ، وما حوله من المظاهر الحسية هى السمة البارزة لدى الشعراء المطبوعين"(٢)

وقد تمسك الآمدى فى القرن الرابع الهجري بتلك السمة – الوضوح – وقد عاد بالنص الشعرى لظوابط النص القديم الذي استقى منه الشاهد اللغوى ذلك الشاهد الذى فسر به النص القرآنى ، والحديث النبوى الشريف ، فالظاهرية تمسكوا بظاهر اللغة بألفاظها ،ومعانيها ، وهو ماقام عليه تفسيرهم للنص الشرعى، وقد أكدوا علي وضوحه ،ومباشرته فى الألفاظ ،والمعانى، وكذلك الصور، ويمكننا القول إن الآمدى بالإضافة إلى ماسبق ذكره ممن حبسوا رؤاهم واكتفوا بأحادية الدلالة فى تحليل النص الشعري ببناءاته

(١) د.إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، ص ١٧٠.
(٢) جبابرى عبد الغنى ، الأسس الجمالية فى موازنة الآمدى ، ص ١٠٦.
راجع د. شوقى ضيف ، العصر الجاهلى ، دار المعارف ، ط١١،ص٢١٩.

الجمالية ، تلك الأحادية التى اعتمدت على ظاهر النص مما لايسمح بقراءات تأويلية متعددة ، تلك القراءات التى تحدث اضطرابا فى التحليل ، واضطرابا فى فهم الصورة بألفاظها ، ومعانيها أى أنه جعل الدلالة فى حدود ظاهرية التلقى لاتسمو عليها ، وهذاما اتبعه الظاهرية عند التعرض للنص الشرعى .

ويرى إحسان عباس أن الآمدى عمد إلى " معاداة العمق فى المعنى " " وقد كان ذا قدرة على التأويل والتخريج اتضحت فى معالجته لقراءة الشعر، واستنباط الوجوه المحتملة فيه ، ولكنه إذا تعدى هذه القراءة الدقيقة نبا ذوقه عن ضروب العمق، وخاصة إذا كان عمقا معنويا ، وسمى مايجىء به أبو تمام أحيانا (فلسفة) هربا من تسميته بالشعر ، وهو مخلص فى هذا لذوقه ،يكاد لايحيد عنه "[1] ويخلص دإحسان عباس من هذا كله بحكم واضح وجلي يكاد يقطع بما ذهبنا إليه من ظاهريته ، يتابع فيقول :" لذلك يمكن أن نقول أن نقده يحمل سمات (أهل الظاهر) فهو لايستطيع أن يتقبل ذوقيا إلا المعنى القريب الذي يسلم للقارئ نفسه فى صياغة جميلة إسلاما مباشرا ، دون إعمال خيال أو إجهاد فكر ، ولا يجد لذة فى التعمية والانبهام، وما يمكن أن يجىء فى شكل أحجية "[2]

ونستطيع تلمس ظاهرية الناقد داخل أحكامه النقدية ، واتخاذ المبادئ الظاهرية فى تفسير النص الشرعي أساسا فى الحكم على النص الشعري ، وقد استطاع الناقد بثقافته ، وسعة اطلاعه أن يخضع النص الشعرى لظوابط تفسير النص الشرعى ، بالاعتماد على القرآن والسنة واتخاذهما المرجع فى الحكم ، وكذلك الرجوع إلى لغة العرب ،وصورهم ،وما عرف عنهم ،واتفقوا عليه ، لتقف جودة النص الشعرى على الوضوح ،ومباشرة المعنى ، وتحجيم دور الخيال بما فيه من مجازات بالاعتماد على ما هو متوقع ،

(١) د.إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، ص ١٧٢.
(٢) نفسه ، ص١٧٢

ومتصور ، وقابل للمنطق ،وقريب من الحقيقة ، تلك الحقيقة التى تحدث تلك المقاربة ،و الملاءمة ، وهو مايصنع الصورة فى إطـــار التلقـــى المعتـــاد الواضح بدلالات اللفظ المباشرة المعتادة عن العرب .فموقفنا المؤيد لظاهرية الآمدى يتحدد من مواقفه التى كشفت لناعن نظرة خارجية لمـــألوف اللفـــظ والمعنى والصورة ،ورفض كل ما يؤدى لإعمال العقل ،والتأويل ، فالناقـــد على وعى تام بطبيعة الشعر فى عصره غير أن ذائقته النقدية التى كونتهـــا العديد من العوامل ومنها الظاهرية ، انسربت داخل آرائه ،ومواقفه النقدية ، فهو ناقد لغوى وظف لغويته طبقا لظاهريته ؛ ليفرز لنا عددا مـــن القواعـــد النقدية المنهجية عند العرب ، وهو ماعرف بعمود الشعر العربي ' ونحـــن لا نتفق ، ولا نختلف حول هذه الآراء .

الخاتمة وأهم النتائج

قد حاولنا تتبع أثر الفكر الظاهرى بمبادئه وأصوله داخل آراءالناقد، ومواقفه النقدية من خلال تتبع آرائه التى رسخت الأصول النقدية المنهجية فى الحكم على الشعر والشعراء.

ويمكننا الخلوص مما سبق إلى النتائج الآتية :

أولا : رغم أن جل النقاد يؤرخون للنقد المنهجى بآثار نقدية بعينها ومنها كتاب الآمدى نظرا لفعل الموازنة، غير أن هذا لايمنع مطلقا أن نقده كان خاضعا لمذهب ومنحى أيديولوجي ظاهرى تأثرت به آراؤه النقدية النظرية والتطبيقية في كتابه الموازنة .

ثانيا : بدت لنا مرجعية الناقد الظاهرية من خلال مجموع آرائه عامة ، فكان يحتكم إلى ما يمكن أن نسميه عمود النقد كمستوى آخر لعمود الشعر ، وهما مصطلحان يرميان من طرف خفى بعمود الدين.

ثالثا : كانت آراء الظاهرية التى أطلقها أبو داوود الأصبهانى الظاهرى فى جملتها لاتخرج عن قراءة النص الدينى إلا من خلال ظاهره ، مغلقة أبواب التأويل للنصوص الدينية ودفاعا عن الدين ووهما بأن التأويل يخرج النص الشرعي عن دلالاته المقصودة ، وهكذا نري مدى هذا المنحي علي المستوي النقدى لدى الآمدى ، الذي تتلمذ على يد جماعة من اللغويين أصحاب الرؤي الظاهرية فى التعاطى مع النص .

رابعا: من خلال فحص كتاب الموازنة انكشفت لنا هذه الآراء الظاهرية فى موقف الناقد عامة من أسلوب أبى تمام الشعرى الذى رأه مختلفا عن أسلوب صنوه البحترى ، وهو اختلاف ينطوى على موقف نقدى فكرى مما رآه عند أبى تمام من جديد لا يتفق والذوق العربى القديم لغة وأسلوبا في مقابل الشعر البحترى قد جرى على سنن القدماء لغة وأسلوبا وعمودا .

خامسا: كما انكشف لنا أن الآمدى حينما تعرض فى باب اللفظ

والمعنى وأخطاء الشعراء فيهما أنه قد أخضع النص الشعرى لمعيارية تفسير النص الشرعى ، وهى تلك المعيارية التى وضع أصولها أهل الظاهر علـــى النحو المبين سالفا وهى معيارية تكشف أحادية الرؤية فى دلالة النص ، كما يكشف باب السرقات فى كتابه أنه صدى للبعد الأخلاقي فى رؤيته عن أخذ شاعر لاحق عن سالف .

سادسا: وأخيرا انكشف لنا بجلاء أثر هذه الظاهرية حينما يتعـــرض الآمدى للصورة الشعرية عند أبى تمام ،حيث اتضح لنا مدى انحسار آرؤاه فى إطار وضوح الصورة وقرب طرفيها،إضافة إلى موقفه من التجاوز فيها إلى حد أنه رأى فى عمق بعض الصور الاستعارية الجديدة ، والطريفة لونا من ألوان التفلسف ، والفساد .

وذلك لخروجها عما قاله الأوائل ، وما مصطلح الأوائـــل عنـــده إلا كمصطلح العمود إذ يكشفان عن الرافد السلفى فـــى صـــياغة المصـــطلح ، وحدود الرؤية الشعرية ، فالنص الشعرى عنده قد طبق عليه أدوات الـــنص الشرعى فى التحليل ، كما وضع قواعدها أهل الظاهر .

المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

-الآمدى (الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى البصرى) (ت٣٧٠)

١-الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، تحقيق وتعليق محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د،ت.

ثانيا: المصادر العربية (كتب التراث):

-أبو إسحاق الشيرازى الشافعى (٣٩٣-٤٧٦ه).

٢-طبقات الفقهاء ، حققه وقدم له د. إحسان عباس ، دار الرائد العربى ، بيروت ، لبنان، د.ت.

-ابن حزم الأندلسى(٤٥٦ه).

٣-النبذ الكافية فى أصول أحكام الدين ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٥، ١٤٠٥ ه-١٩٥١م.

-ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد).

٤- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق على عبد الواحد وافى ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة،ط٧، مارس ٢٠١٤م.

-ابن خلكان.

٥-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د.إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، ١٣٩٨ه-١٩٧٨م.

-ابن النديم.

٦-الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د.ت.

-الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى ...)

٧-الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون، الناشر مصطفى بابى الحلبى ، ط٢،١٣٨٤ه-١٩٦٥م.

-جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى .
٨-إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربى ، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م.
-جلال الدين عبد الرحمن السيوطى.
٩-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر عيسى البابى الحلبى ، ج١، ١٣٨٤ه-١٩٦٤م.
-الخطيب البغدادى (٣٩٢- ٤٦٣ه).
١٠-تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواردیها ، حققه وضبط نصه دبشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامى ، مج ٩،د.ت.
-الزبيدى (السيد محمد مرتضى).
١١-تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق مصطفى حجازى ، مطبعة حكومة الكويت ، ج١٢، ١٣٩٣ه-١٩٩٣م.
-الشهرستانى(أبو الفتح محمد عبد الكريم).
١٢-الملل والنحل ،تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبى، ج٢ ،١٣٨٧ه- ١٩٦٨م.
-محمد بن سلام الجمحى (١٣٩-٢٣١ه)
١٣-طبقات فحول الشعراء ،قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر ،مطبعة دار المدنى بجدة ،ج١،د.ت.
-المرزبانى(أبو عبيدةمحمد بن عمران الخرسانى)ت(٢٨٤ه).
١٤-الشيعة، تلخيص السيد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١ه)،تحقيق محمد هادي الاميني ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف ،ط١، ١٣٨٨ه-١٩٦٨م.

-ياقوت الحموى.
١٥-معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تحقيق د.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، لبنان ، ط١، ج٤، ١٩٩٣م.

ثالثا :المراجع العربية:

-د.إحسان عباس .
١٦-تاريخ النقد الأدبى عند العرب(نقد الشعر من القرن الثاني حتي القرن الثامن الهجرى ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٤، ١٤١٢ه-١٩٩٢م.
١٧-شعر الخوارج ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان، د.ت.
-أدونيس .
١٨-الثابت والمتحول بحث فى الإبداع والاتباع عند العرب ، تأصيل الأصول ، دار العودة ، بيروت ، لبنان، ط٢، ١٩٧٩م.
-د. جابر عصفور .
١٩-الصورة الفنية في التراث النقدى والبلاغى عند العرب،المركز الثقافى العربى، ط٣، ١٩٩٢م.
-رمضان على السيد الشرنباص.
٢٠-المدخل لدراسة الفقه الإسلامى ، تطوره -مدارسه- مصادره وقواعد نظرياته،مطبعة الأستانة ، ط٢، ١٤٣٢ه.
-د.شوقى ضيف.
٢١-العصر الجاهلى ، دار المعارف ، ط١١،د.ت.
٢٢-العصر العباسى الأول ، تاريخ الأدب العربى٣، دار المعارف ، ط٨،د.ت.
-طه إبراهيم .
٢٣-تاريخ النقد الأدبى عند العرب من العصر الجاهلى إلي القرن الرابع الهجرى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧م.

-عبد الرؤوف بن المناوى .
٢٤-التعاريف، تحقيق د. عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب ، ط١، ١٤١٠ه- ١٩٩٠م.
-د .عبد المجيد محمود عبد الحميد.
٢٥-الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث فى القرن الثالث الهجرى ، ١٣٩٩ه،١٩٧٩م.
-د. عبد المنعم الحفنى.
٢٦-موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ، دار الرشاد للطباعة والنشر ، ط١، ١٤١٣ه- ١٩٩٣م.
-أ.د عمر سليمان الأشقر .
٢٧-المدخل إلي الشريعة والفقه الإسلامى ، دار النفائس ، ١٤٢٥ه- ٢٠٠٥م.
-محمد رواس قلعجى ، حامد صادق قنيبى.
٢٨-معجم لغة الفقهاء ، دار النفائس ، ط١، ١٤٠٨ه- ١٩٨٨م.
-د.محمد زغلول سلام .
٢٩-تاريخ النقد الأدبى والبلاغة حتى القرن الرابع الهجرى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية، د.ت.
-محمد السماوى .
٣٠-الطليعة من شعراء الشيعة، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربى، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤٢٢ه-٢٠٠١م.
-أ.د محمد مصطفي شلبى .
٣١-المدخل في الفقه الإسلامى ، تعريفه ، تاريخه ، ومذاهبه ، نظرية الملكية والعقد، الدار الجامعية ، ط١٠، ١٤٠٥ه- ١٩٨٥م.

-د.محمد مندور .
٣٢-النقد المنهجى عند العرب ، منهج البحث فى الأدب واللغة ، نهضة مصر ، ١٩٩٦م.
-أ.د نصر فريد واصل.
٣٣-المدخل الوسيط لدراسة الشريعة الإسلامية والفقه والتشريع ، مطبعة النصر ، ١٩٨٠م.
-د.وليد قصاب .
٣٤-قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم ، المكتبة الحديثة ، العين ، دمشق ، ط٢، ١٩٨٥م.

رابعا : المجلات والدوريات:

-د.جهاد المجالى .
٣٥-موقف النقاد العرب القدامى من قضية الذوق الفنى ، مؤتة للبحوث والدراسات ، ع٢، مج٨، ١٩٩٣م.
-د.شفيق جبرى .
٣٦-فن الجاحظ ، مجلة المجمع العلمى العربي، م١٢، ج١/١٢، ١٩٣٢م.
٣٧-ثقافة الجاحظ، مجلة المجمع العلمى العربي ، مج١١، ج١/١٢، ١٩٣١م.
-عبد العزيز الدقر .
٣٨-اعتزال الجاحظ ، مجلة المجمع العلمى العربي ، ج٤ ، مج ٢٨، ١٩٥٣م.
-عبد اللطيف حمزة .
٣٩-الجاحظ المعتزلى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مج١٩، ج٢، ١٩٥٧م.

-وديعة طه نجم .
٤٠-الجاحظ والنقد الأدبى ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، مجلس النشر العلمى ، الحولية ١٠، الرسالة ٥٩، ١٩٨٩م.

خامسا : الرسائل العلمية .

-جبابرى عبد الغنى .
٤١-الأسس الجمالية فى موازنة الآمدى ، رسالة ماجستير ، الجزائر ، جامعة أبى بكر بلقاد تلمسان، ١٤٣٤ه/١٤٣٥ه، ٢٠١٣م/٢٠١٤م.
-سميرة بوجرة.
٤٢-الشواهد الشعرية فى كتاب الموازنة، مقاربة نقدية ، رسالة ماجستير ، جامعة مولود معموى،تبزى وزو، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، نوفمبر ١٤٠٣ه/١٤٠٤ه.
-عادل عبد العزيز غيث عبد الخالق.
٤٣-الصراع المذهبى بين المالكية والظاهرية بين المالكية والظاهرية فى الأندلس وموقف ملوك الطوائف حياله" ابن حزم الظاهرى نموذجا" جامعة بنغازى، كلية التربية بالمرج، مارس،ع٢، ٢٠١٥م.
-ليلى عبد الرحمن الحاج قاسم .
٤٤-الذوق الأدبى فى النقد القديم ، رسالة ماجستير ،جامعة أم القرى قسم الدراسات العليا العربية،١٤٠٣ه-١٤٠٤ه.